رسالة إسلامية منهجية جامعة

٢٢

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري. ومرة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة: العدد الثاني والعشرون

١٥/جمادى الآخرة/١٤٢٠

اقرأ في هذا العدد

مسائل وأجوبتها	العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني
غربتان في غربة	الشيخ محمد إبراهيم شقرة
المشاحة في الاصطلاح	الشيخ سعد الحصين
دروس في منهج السلف	الشيخ عبد الله العبيلان
التلازم بين العلم والعمل	الدكتور الشيخ صالح السدلان
تعجيل الهزيمة لمخالفي الرسل	الشيخ عبد المالك الجزائري

رسالة إسلامية منهجية جامعة

٢٢

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد الثاني والعشرون

١٥ / جمادى الآخرة / ١٤٢٠هـ

أسرة التحرير

الشيخ سليم بن عيد الهلالي / رئيساً

الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر / عضواً

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري / عضواً

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان / عضواً

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣٢٨

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

(النساء : ١)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

المحتويات

☐ فاتحة القول: الحزبيّة بين الوقاية والعلاج

التحرير ٥

☐ تأملات قرآنية: الساعي إلى سبيل الرشاد

الشيخ فتحي عبد الله سلطان ٧

☐ الكلم الطيب: فقه الابتلاء في ضوء حديث خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه.

الشيخ: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ١٤

☐ مباحث عقيديّة: الدرّة السنية في العقيدة السلفيّة

أبو العالية فخر الدين بن الزبير المحسي ١٨

☐ القراءات: الإمام مكي بن أبي طالب واختياراته

الشيخ: د. محمد موسى نصر ٢١

☐ مفاهيم يجب أن تصحح: المشاحة في الاصطلاح

الشيخ: سعد الحصيّن ٢٨

☐ كلمات في الدعوة والمنهاج: دروس في منهج السلف

الشيخ: عبد الله بن صالح العبيلان ٣٣

☐ السلوك وتزكية النفس: التلازم بين العلم والعمل

الشيخ: د. صالح بن غانم السدلان ٤٠

☐ أحكام فقهيّة: زواج المتعة وحرمته المؤبدة في الإسلام.

د. أحمد آل سلوم ٤٣

☐ الكتب تعريفاً ونقداً: أمالي نظام الملك

الشيخ: أبو عبيدة مشهور حسن آل سلمان ٤٩

☐ تصفية وتربية: تعجيل الهزيمة لمخالفي الرسل

الشيخ: عبد المالك بن أحمد الجزائري ٥٤

المحتويات

☐ السياسة الشرعية: بعض الضوابط في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الشيخ: عثمان معلم الصومالي ٦٠

☐ تحقيقات: أسماء المؤلفات والتحقيقات للعلامة الألباني

الشيخ: علي بن حسن الحلبي الأثري ٦٧

☐ خواطر إيمانية: غربتان في غربة

الشيخ الأستاذ: محمد إبراهيم شقره ٧٢

☐ الفتاوى: مسائل وأجوبتها

العلامة المحدّث محمد ناصر الدين الألباني ٧٥

☐ مسك الختام: إنها الربانيّة: تصفية وتربية

التحرير ٨٠

☐☐☐

التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني

دار الحسن للنشر والتوزيع / هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ / فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ / ص.ب ١٨٢٧٤٢ / عمان ١١١١٨ / الأردن

الحزبية بين الوقاية والعلاج

التحرير

يدرك كلُّ صاحب حق، عامل به، مُريد له، ما حلَّ بأمَّتنا من خُطوب الرَّزايا، وأسباب البلايا؛ حتى نالَ الأسافلُ من الأعالي، والأصاغرُ من الأكابر: نالَ الشركُ من التوحيد، ونالَ الكفرُ من الإيمان، ونالَ الباطلُ من الحق، ونالَ الجهلُ من العلم، ونالتْ البدعةُ من السُّنة، ونالت المعصيةُ من الطاعة... حتى نالتْ الحزبيّةُ المقيتةُ منالها؛ فنالت من التوحيد تأخيراً، ومن الإيمان تشكيكاً، ومن الحق تذويباً، ومن العلم تجميداً، ومن السُّنة تفريطاً، ومن الطاعة إعراضاً؛ ونالتْ من أئمّة الهدى طعناً وتربصاً بل ونالتْ من جموع المؤمنين تشتيتاً، ومن أخوتهم تفريقاً...

ولعل ما هو حاصل في الواقع، ومشاهد عياناً من بعض الدعاة! من قهْقرة الإيمان وتراجعه في نفوسهم، وضَعْف موجباته من التقوى والخشية واليقين والصبر...، وإيثار للدنيا على الآخرة، والنيل من العلم والعلماء، والمباعدة عن الإخلاص راجع إلى الحزبية وتربيتها السيئة الخاطئة، التي أضعفتْ التقوى والإيمانَ، وشتت الفكر والأذهان، وباعدت بين الأحبة والخُلان.

وأيّاً كانت صور هذا المرض، سواء أكانت في المنهج، أو الفكر، أو الولاء، أو الأشخاص، أو السلوك...؛ فلا بدَّ من تشخيص الأسباب، ومعرفة الآثار؛ حتى يتمكن الدعاةُ الربانيونَ من تحصين من عُوفي منه، وعلاج من أصيب به؛ وقد قيل: «الوقايةُ خيرٌ من العلاج».

وأسبابُهُ كثيرة:

منها: ما يتعلق بالإعراض عن الوحيين بفهم السلف الصالح، والاستغناء بمجمل المنهج عن النظر في مفصَّله.

ومنها: الإعراض عن موجبات التقوى والإيمان.

ومنها: الإعراض عن تحقيق التوحيد في النفس والآخرين تحقيقاً علمياً وعملياً

ودعوياً.

ومنها: إيثارٌ للدنيا وحطامها الزائلِ على الآخرةِ ونعيمها الدائمِ.

ومنها: حظوظُ النفس، وإرادات فاسدة...

وجملةُ هذه الأسباب، تعود: إلى ضعف في ثوابتِ العلمِ والفهمِ، أو إلى عجزٍ في حصانةِ التقوى والإيمان؛ فكلها تعود: إلى شُبهٍ خطّافة، أو شهوات قتالة، وقد يجتمعان تارةً، ويفترقان تارة أخرى... والقلوب ضعيفة.

وإذا كان الأمرُ كذلك؛ فلا بد من سلوك سبيل الحق والنجاة؛ ﴿ففرّوا إلى الله إنّي لكم منه نذيرٌ مبين﴾: فراراً إلى الله عبوديةً واستعانةً، وفراراً إلى السُّنة متابعةً واعتصاماً، وفراراً إلى العلم تلقياً وافتقاراً، وفراراً إلى الطاعاتِ ظفراً وسعياً، وفراراً إلى الآخرةِ إرادةً وطلباً.

إنّ الأسلوب الأمثل، والطريق الأقوم لعلاج هذا المرض إنما يكون بسلوك سبيل العلم النافع والعمل الصالح، وبهذه السبيل يُعالج من كان راغباً في التوبة، والسلامة، والشفاء؛ وهو الذي يقي من كان محباً للمنهج والاستقامة والاهتداء.

نعم؛ فبهذه السبيل تُنتقص الحزبيّة من أطرافها، وتضمحلُ الآمال في نفوسِ دعاتها، ويعود الرجاء إلى قلوب المغرريين بها، وتضيء الإنابة طريق العائدين عنها، والراغبين في الانفكاك عن قيودها وأوزارها، حتى تكون لكلمة الإيمان والعلم صولتها وجولتها.

ولكن الذي يخشى على أهل الحق منه أمران:

الأول: أن تُكافح الحزبيّةُ بحزبية أخرى، مثلها أو أشد منها وأنكى!

أما الآخر: أن ينشغل الدعاة عن الوقاية والتحصين والبناء بالعلاج والتشخيص فحسب؛ فلا بد إذاً من ضوابط علمية عدلية وسطية لا تفرق بين مجتمعٍ؛ ولا تجمع بين متفرق.

وفي القرآن الكريم كفاية، لمن تأمل وتفكر، وتذكر، وتدبر وأراد الهداية؛ قال تعالى: ﴿**يا أيها الرسلُ كلوا من الطّيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم. وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدةً وأنا ربكم فاتقون. فتقطّعوا أمرهم بينهم زُبُراً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون**﴾.

التحرير

* * *

بقلم الشيخ: فتحي عبد الله سُلطان

الساعي إلى سبيل الرشاد

الحلقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى﴾ (سورة عبس ١ ــ ١٠).

أجمع المفسرون على أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي ﷺ ويتعلم منه.

وجاءه رجل من الأغنياء، وكان ﷺ حريصاً على هداية الخلق فمال ﷺ، وأصغى إلى الغني، وصد عن الأعمى الفقير، رجاءً لهداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته؛ فعاتبه الله تعالى بهذا العتاب اللطيف.

وروى الترمذي (٣ / ١٢٦ ــ صحيح) عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت:

«أنزل **﴿عبس وتولى﴾** في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين؛ فجعل رسول الله ﷺ، يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول:

«أترى بما أقول بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أنزل.

وقد دل المأثور في سبب النزول على: أن الساعي هاهنا كان قاصداً سبيل الرشاد الذي هو ضد الغي؛ وهو: اسم جامع لكل ما يرشد إلى المصالح الدينية والدنيوية، وهو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة.

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾.

١- عبس؛ أي: في وجهة، وتولى في بدنه؛ لأجل مجيء الأعمى له.

وأن جاءه الأعمى في موضع نصب؛ لأنه مفعول لأجله؛ المعنى: لأن جاءه الأعمى، وهذا بيان لعلة التولي؛ كما ذكر أهل التفسير[1].

قلت: وهذه العلة ليست لذات المجيء، وإنما لحال النبي ﷺ في الانشغال بهداية المعرض عند مجيء الأعمى، والله أعلم.

٢ - قال الصاوي (٤ / ٢٩١): إنما أتى بضمائر الغيبة ﴿عبس وتولى﴾ تلطفاً به ﷺ وإجلالاً له؛ لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة والصعوبة.

٣ - والتعرض لصفة عماه: إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه ﷺ، وتشاغله بالقوم، وإما لزيادة الإنكار؛ كأنه قيل: تولى لكونه أعمى، ... وكان يجب أن يزيده لعماه، تعطفاً وترؤفاً وتقريباً وترحيباً[٢].

٤ - والآية ذكرته بلقب يكرهه الناس، مع أن الله تعالى قال: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾، وهذا التعارض الظاهر يُدفع من وجوه:

* إن هذا الوصف جاء من باب التعريف في غرض سليم دون تنقص.

* للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام النبي ﷺ، وللإيذان بالرفق به، ومراعاة حاله[٣].

* وذكر بهذا الوصف من باب التعريض بغيره من أولئك الصناديد وسادة القوم، وكأنه يقول لهم: ﴿**إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾: فهذا كفيف البصر، ولكنه وقّاد البصيرة، أبصر الحق وآمن به، وجاء مع عماه طالباً للمزيد[٤].

٥ - والعبوسة أمر لا يتفق في الظاهر مع قوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾، وقوله: ﴿**واخفض جناحك للمؤمنين**﴾.

والذي يظهر ــ والله تعالى أعلم ــ، أنه لا يتأتى معه؛ لأنه ﷺ لم يتكلم بما يسيء إلى هذا الصحابي في نفسه بشيء يسمعه، كل ما كان منه ﷺ إنما هو تقطيب الجبين،

> ***تقديم التزكية على التذكر، من باب تقديم التخلية على التحلية، والتزكي: هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكية؛ قال تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ فالتزكية وإن كان أصلها: النماء، والبركة، وزيادة الخير، فإنما تحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكي يجمع بينَ هذا وهذا.***
>
> ***وإن كانت التزكية هي معنى زائد على قدر التطهر من الذنوب فقط، بل تتزكى النفس بكل ما تتحصل به المنافع، وتندفع به المضار.***

وهي حركة مرئية لا مسموعة، والحال: أن هذا أعمى لا يرى تلك الحركة، فكأنه لم يلق إساءة منه ﷺ؛ فعوتب من باب التسامي بأخلاقه ﷺ إلى ما لا نهاية له، إلى حد اللحظ بالعين، والتقطيب بالجبين، ولو لمن لا يراه؛ كما قال ﷺ: «ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين»، وذلك في صلح الحديبية[٥].

﴿وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾:

٦ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «المجموع» (١٦ / ١٦٤): «فأمره أن يقبل على من جاءه يطلب أن يتزكى وأن يتذكر».

وقال الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح القدير» (٥ / ٣٨٢): «لعله يزكى: مستأنفة لبيان أن له شأناً ينافي الاعراض عنه؛ أي: لعله يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك».

«والمعنى: انظر فقد يكون تزكِّيه مرجو؛ أي: إذا أقبلت عليه بالإرشاد؛ زاد الإيمان رسوخاً في نفسه، وفعلَ خيرات كثيرة مما ترشده إليه؛ فزاد تزكِّيه»[٦].

أي: للتنبيه على أن الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز، فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكي؟! وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفار لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلاً.

٧ - تقديم التزكية على التذكر، من باب تقديم التخلية على التحلية، والتزكي: هو الإيمان والعمل الصالح الذي تصير به نفس الإنسان زكية؛ قال تعالى: ﴿**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾ فالتزكية وإن كان أصلها: النماء، والبركة، وزيادة الخير، فإنما تحصل بإزالة الشر؛ فلهذا صار التزكي يجمع بينَ هذا وهذا.

وإن كانت التزكية هي معنى زائد على قدر التطهر من الذنوب فقط، بل تتزكى النفس بكل ما تتحصل به المنافع، وتندفع به المضار.

ومحل التزكية القلب؛ ولهذا صار الإيمان والقرآن غذاء القلب المتزكي؛ يقول شيخ الإسلام في «المجموع» (١٠ / ٩٥ ـ ٩٦):

«وفيه ـ أي القرآن ـ من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة ما يوجب صلاح القلب؛ فيرغب القلب فيما ينفعه، ويرغب عما يضره؛ فيبقى القلب محباً للرشاد مبغضاً للغي، بعد أن كان مريداً للغي مبغضاً للرشاد.

فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للارادات

الفاسدة حتى يصلح القلب؛ فأصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها، كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي ويتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويؤيده، كما يتغذى البدن بما ينميه ويقومه...».

٨ - أما ذكر التزكي مع التذكر فهو لوجوه:

أحدها: أن التزكي يحصل بامتثال أمر الرسول، وإن كان صاحبه لا يتذكر علوماً عنه؛ كما قال: ﴿**يتلو عليهم آياته ويزكيهم**﴾، ثم قال: ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾: فالتلاوة عليهم والتزكية عام لجميع المؤمنين، وتعليم الكتاب والحكمة خاص ببعضهم، وكذلك التزكية عام لكل من آمن بالرسول، وأما التذكر فهو مختص لمن له علوم يذكرها؛ فعرف بتذكره ما لم يعلمه غيره من تلقاء نفسه.

الوجه الثاني: أن قوله ﴿**أو يذكر فتنفعه الذكرى**﴾ يدخل فيه النفع قليله وكثيره، والتزكي أخص من ذلك.

الثالث: أن التذكر سبب التزكي، فإنه إذا تذكر خاف ورجا؛ فتزكى، فذكر الحكم وذكر سببه، ذكر العمل وذكر العلم، وكل منهما مستلزم للآخر؛ فإنه لا يتزكى حتى يتذكر ما يسمعه من الرسول كما قال تعالى: ﴿**سيذكر من يخشى**﴾؛ فلا بد لكل مؤمن من خشية وتذكر، وهو إذا تذكر؛ فإنه ينتفع، وقد تتم المنفعة؛ فيتزكى[٧].

٩ - والتزكية تحصل على إثر السماع المجمل؛ أي: هي مُترتبة على سماع التلاوة؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**يتلو عليهم آياته ويزكيهم**﴾.

وفي هذا المعنى يقول أبو السعود في تفسيره (٣ / ١٦٢): «التزكية: عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية، وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية، الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة».

١٠ - وكان عند ابن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ علم سابق عند مجيئه، وهو: أن طريق الرشاد المتضمن للتزكية والتذكر مسلَّم إلى الرسل؛ فلا يتحصل إلا بالتعلّم والسعي لذلك.

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «المدارج» (٢ / ٣١٤ - ٣١٥):

«فإن تزكية النفوس مسلّم إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذه التزكية، وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليماً وبياناً

وإرشاداً، لا خلقاً ولا إلهاماً، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم».

١١ - والتذكّر: تفعّل من الذكر، وهو ضد النسيان، وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب واختير له بناء التفعل، لحصوله بعد مهلة وتدرج؛ كالتبصّر والتفهّم والتعلّم.

وجملة: «أو يذكّر»: عطف على يزكى؛ أي: ما يدريك أن يتحصل أحد الأمرين وكلاهما مهم؛ أي: يتحصل الذكرى في نفسه بالإرشاد، لما لم يكن يعلمه، أو تذكر، لما كان في غفلة عنه[٨].

والتذكر قرين الإنابة؛ قال الله ـ تعالى ـ ﴿**تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**﴾؛ فالتبصرة آلة البصر، والتذكرة آلة التذكر، وقرن بينهما وجعلهما لأهل الإنابة؛ لأن العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقع الآيات والعبر؛ فاستدل بها على ما هي آيات له فزال عنه الإعراض بالإنابة والعمى بالتبصر، والغفلة بالتذكر[٩].

فائدة:

فمتى قويت إنابة العبد وتذكره: لم تشتد حاجته إلى العظة ـ وهي الترغيب والترهيب ـ ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنهي.

والعظة يراد بها أمران: الأمر والنهي المقرونان بالرغبة والرهبة، ونفس الرغبة والرهبة، فالمنيب المتذكر شديد الحاجة إلى الأمر والنهي، والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب، والمعارض المتكبر شديد الحاجة إلى المجادلة، كما قال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾.

فالمخاطب في الآية هو المنيب المتذكر الذي جاء يسعى لتحصيل النفع الشرعي والديني، فهو من أهل الحكمة؛ فيجب أن يقدم على غيره في خطاب التذكر؛ لتحصيل العلم المفصل المتضمن لأنواع الأوامر والنواهي؛ فتأمل.

١٢ - ولما كان التذكر يحصل لمن له علوم يذكرها؛ فإن الساعي إلى الرشاد الموصوف بالخشية كان بحاجة إلى الدليل الهادي المفصل، فهو يحتاج إلى الظفر بهذا الدليل أولاً، ويحتاج إلى أن يهتدي به وينتفع ثانياً، ويحتاج إلى أن ينزّل على قلبه الأسباب الهادية، ويصرف عنه الأسباب المعوقة ثالثاً، فإذا حصل للعبد غفلة وذهول استذكر هذه العلوم، فضلاً عن العلوم والإرادات الفطرية، فزال عنه الاعراض، وتذكر بهذه العلوم والإرادات مطالب القرآن الكبرى[١٠].

ويقول شيخ الإسلام في «درء تعارض

العقل والنقل» (٧ / ٤٢٥):

«وقد يكون العلم والإرادة حاصلين بالفعل، أو بالقوة القريبة من الفعل، مع نوع من الذهول والغفلة، فإذا حصل أدنى تذكر رجعت النفس إلى ما فيها من العلم والإرادة، أو توجهت نحو المطلوب؛ فيحصل لها معرفته ومحبته».

وأيضا، فذكر الإنسان يحصل بما عرفه من العلوم قبل هذا، فيحصل بمجرد عقله، وخشيته تكون بما سمعه من الوعيد، فبالأول يكون ممن له قلب يفعل به، والثاني يكون ممن له أذن يسمع بها، وقد تحصل الذكرى الموجبة للخير بهذا وبهذا كما قال -تعالى-: **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو ويشهد﴾**[11].

أيُّ رجل حي القلب، مستعد، تليت عليه الآيات؛ فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة[12].

يظهر من ذلك أن «أو» في الآية (أو يذكر) لم يرد على معنى الواو؛ لأنَّ المطلوبَ في الآية: التزكية، والتذكر، والغالب تحصيلهما معاً؛ لكون كل منهما مستلزم للآخر وسبب له، لكن مع ذلك فقد يحصل أحدهما دون الآخر أحياناً بحسب حال العبد - والله تعالى - أعلم.

﴿إن نفعت الذكرى﴾:

١٣ - هذه الآية؛ كقوله تعالى: **﴿فتولَّ عنهم فما أنت بملوم وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾**.

وكان عند ابن أم مكتوم - رضي الله عنه - علم سابق عند مجيئه، وهو: أن طريق الرشاد المتضمن للتزكية والتذكر مسلَّم إلى الرسل؛ فلا يتحصل إلا بالتعلّم والسعي لذلك، وفي هذا المعنى يقول ابن قيم الجوزية - رحمه الله - في «المدارج» (٢ / ٣١٤ - ٣١٥):

«فإن تزكية النفوس مسلّم إلى الرسل وإنما بعثهم الله لهذه التزكية، وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليماً، وبياناً، وإرشاداً، لا خلقاً وإلهاماً؛ فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم».

فالمخاطب في الآية هو المنيب المتذكر الذي جاء يسعى لتحصيل النفع الشرعي والديني، فهو من أهل الحكمة؛ فيجب أن يقدم على غيره في خطاب التذكر؛ لتحصيل العلم المفصل المتضمن لأنواع الأوامر والنواهي؛ فتأمل.

وإنْ: شرطية، ليست نافية، وحكى الماوردي أنها بمعنى: «ما المصدرية»، أي: ذكر ما نفعت، أو ما دامت تنفع، ومعناها قريب من معنى الشرطية.

ومعنى هذا يشبه قوله تعالى: ﴿**فذكر بالقرآن من يخاف وعيد**﴾.

وسبب ذلك:

أن التعليم والتذكير له فاعل، وله قابل، وإن لم يتعلم ولم يتذكر؛ فقد وجد أحد طرفية، وهو الفاعل دون المحل القابل.

فحيث خص بالتذكير والإنذار ونحوه المؤمنين؛ فهم مخصوصون بالتام النافع الذي سعدوا به، وحيث عمم؛ فالجميع مشتركون في الإنذار الذي قامت به الحجة على الخلق، سواء قبلوا أم لم يقبلوا.

فائدة:

فكل تذكير ذكر به النبي ﷺ المشركين حصل به نفع في الجملة، وإن كان النفع التام هو للمؤمنين، الذين قبلوه واعتبروا به، وجاهدوا المشركين الذين قامت عليهم الحجة.

فيكون مأموراً أن يذكر المنتفعين بالذكرى، تذكيراً يخصهم بها، غير التبليغ العام الذي تقوم به الحجة [13].

يتبع...

* الحواشي:

(١) «تفسير القرطبي» (١٩ / ١١)، وانظر: «تفسير أبي السعود» (٣ / ١٦٢).

(٢) قاله أبو السعود في «تفسيره»، ونقله القاسمي في «محاسن التأويل» (١٧ / ٥٣).

(٣) «نظمُ الدُّرر» للبقاعي (٨ / ٣٢٤).

(٤) انظر: «أضواء البيان» (٩ / ٧٤ - ٩٤).

(٥) انظر: «أضواء البيان» (٩ / ٤٨) بتصرف

(٦) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٥ / ١٦).

(٧) انظر: كلام شيخ الإسلام في «المجموع» (١٦ / ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٨) «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٥ / ١٠٧).

(٩) «مدارج السالكين» لابن القيم (١ / ٤٤١).

(١٠) انظر: حول الظفر بالدليل الهادي، كلام شيخ الإسلام في «المجموع» (٤ / ٣٦).

(١١) «المجموع» (١٦ / ١٨٠ - ١٨١).

(١٢) «مدارج السالكين» لابن القيم (١ / ٢٤٢).

(١٣) «المجموع» بتصرف، انظره (١٦/١٥٣-١٦٤).

* * *

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

فقه الابتلاء

في ضوء حديث خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ

لقد فقه سلفنا الصالح مسألة الابتلاء؛ فكان دافعاً للثبات، وطاقة عطاء لا تنفد، وقوة عزم لا تنقطع، ودونك معالم فقه الابتلاء عند سلفنا الصالح في ضوء حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

١ ـ الابتلاء ضرورة إيمانية.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢).

لا بدّ أن يمتحن الله أهل الإيمان ويبتليهم حتى يميز الصادق من الكاذب، ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى البالغة أن نصب الابتلاء سبباً مفضياً إلى تمييز الخبيث من الطيب، والشقي من الغوي، ومن يصلح مما لا يصلح: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

ويخلص الصادق من الوهن البشري الذي لا تسلم منه نفس بشرية؛ فتسمو همته فوق الألم فيدرك أنه جسر إلى المعالي فلن يدرك المرء المجد حتى يلعق الصبر.

ويبتلى المرء على قدر دينه كلما اشتد إيمانه عظم ابتلاؤه حتى يخلص من شرور نفسه وسيئات أعماله، ويظهر طيب نفسه بكير الامتحان؛ كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشة إلا بكير النيران، ولذلك قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل: يبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة»[1].

ولذلك فالمؤمن ينظر إلى الابتلاء أنه نعمة ورحمة من الله على عباده يتعهدهم بالابتلاء المرة بعد المرة؛ لينقيهم، ويطهرهم، ويذهب عنهم رجز الشيطان، ويربط على قلوبهم، ويثبت به الأقدام.

وكذلك ينظر إليه أنه دليل رضى ومحبة

من الله لعباده، فإن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، وكلما صلب إيمان المرء وقوي يقينه اشتد بلاؤه فمن رضي فله الرضى، والعكس بالعكس.

٢ - الابتلاء سنة من سنن الله الجارية في الأمم الخالية.

قال تعالى: ﴿ولَقد فَتَنَّا الذينَ من قَبلهم فَلَيَعلَمَنَّ اللهُ الذينَ صدقُوا وَلَيَعلَمَنَّ الكَاذبينَ﴾ العنكبوت: ٣).

٣ - الابتلاء مقدمة التمكين.

لما كان الابتلاء ضرورة إيمانية؛ فإن المؤمن يحصل له الألم ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، وسئل الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.

وقد ابتلى الله المؤمنين فلما صبروا مكَّنهم في الأرض، واستخلفهم ﴿وجعلنا منهُم أئمَّةً يهدون بأمرنا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتنا يُوقنون﴾ (السجدة: ٢٤)، فلا يظن عاقل أن أحداً يخلص من الألم ألبتة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول فأوسطهم من باع ألما مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير ثم تعقبه لذة في الدنيا والآخرة.

وكما أن الابتلاء سنة جارية كذلك التمكين والاستخلاف كما قال تعالى. ﴿وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا منكُم وَعَمِلُوا الصَّالحَاتِ لَيَستَخلفَنَّهُم في الأرض كَمَا استَخلَفَ الذينَ من قَبلهم وَلَيمَكِّنَنَّ لهم دينَهُمُ الذي ارتَضى لهم وَلَيُبَدلَنَّهُم من بَعدِ خَوفهم أمناً يَعبُدُونَني لاَ يُشرِكُونَ بي

لما كان الابتلاء ضرورة إيمانية؛ فإن المؤمن يحصل له الألم ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، وسئل الشافعي رحمه الله: أيهما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى.

شَـــيئاً وَمَن كَفَر بعدَ ذلكَ فـأولَئكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

٤ - عدم استعجال التمكين واستدعاء البلاء.

المؤمن يتأنى في الأمور، وينظر في عواقبها، لأن الفقيه من نظر في العواقب، ولم تستفزه البداءات، ولذلك فهو لا يستعجل التمكين وإن جاشت عاطفته، وغلت حماسته؛ لأنه يعلم أنه لا بد من الابتلاء ابتداء، وهو لا يتمنى الابتلاء ولا يستدعيه؛ لأن في طياته فتنة مجهولة العواقب لا يدري الإنسان أيثبت أم ينكص على عقبيه؟ عياذاً بالله.

ويدل على ذلك الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ التي يسأل الله فيها العفو والعافية والمعافاة من البلاء والابتلاء.

وكذلك الأحاديث التي فيها النهي عن تمني لقاء العدو، أو المرض أو غير ذلك من البلاء.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه».

قالوا: وكيف يذل نفسه؟».

المؤمن يتأنى في الأمور، وينظر في عواقبها؛ لأن الفقيه من نظر في العواقب، ولم تستفزه البداءات، ولذلك فهو لا يستعجل التمكين وإن جاشت عاطفته، وغلت حماسته؛ لأنه يعلم أنه لا بد من الابتلاء ابتداء وهو لا يتمنى الابتلاء ولا يستدعيه؛ لأن في طياته فتنة مجهولة العواقب لا يدري الإنسان أيثبت أم ينكص على عقبيه؟ عياذاً بالله.

قال: «يتعرض من البلاء ما لا يطيق»[٢].

وما تقدم من فقه هذه المسألة مداره على حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول ﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة. قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض؛ فيجعل فيها؛ فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه.

والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[٣].

وبيان ذلك:

أ - إخباره عن ابتلاء مؤمني الأمم الماضية يشير إلى أنّه ضرورة إيمانية، وأنه سنة جارية في المؤمنين على مر العصور.

ب - إخباره بانتشار الدين وانتصاره يدل على أن الابتلاء مقدمة التمكين، وأن المؤمن لا يمكن حتى يبتلى.

ت - قوله: «ولكنكم تستعجلون» تحذير من استعجال التمكين قبل النضوج واستدعاء البلاء. والله اعلم.

* الحواشي:

(١) صحيح ـ أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١ / ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) وغيرهم من طريقين عن سعد بن أبي وقاص به مرفوعاً.
قلت: إسناده صحيح.
وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري صحيح.

(٢) حسن لغيره ـ أخرجه الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، وأحمد (٥ / ٤٠٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٦٠١)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٥١)، والقضاعي في «الشهاب» (٨٦٦) وإسناده ضعيف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان ضعيف، والحسن البصري مدلس وقد عنعنه.
وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٠٧)، و«الأوسط» ٤٤٠٣ ـ مجمع البحرين)، والبزار (٣٣٢٣ ـ كشف الأستار)، وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٥٣) من طريق زكريا بن يحيى الضرير عن شبابة بن سوار ـ ثم وقع اضطراب في «السند»؛ فعند الطبراني في «الكبير» عن ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح، وفي «الأوسط» عبدالكريم بدل ابن أبي نجيح، وعند البزار عن العلاء بن عبدالكريم عن مجاهد عن ابن عمر.
ومع ذلك جوّده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧ / ٢٦٤ . ٢٧٥)، والعراقي في «تخريج الإحياء» (١ / ٤٦)، والزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١ / ٤٦٩).
قلت: فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.
وله شواهد أخر ذكرها الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»؛ فلتنظر.

(٣) أخرجه البخاري.

أبو العالية فخر الدين بن الزبير المحسي

الدرة السنية في العقيدة السلفية
في باب الصفات الإلهية

بسم الله الرحمن الرحيم

في

(مقدمة وأربعة فصول وخاتمة)

(المقدمة)

١ - أحمدُ ربي ملهم الصّواب
حمداً يُفيضُ أجزلَ الثّوابِ

٢ - منجيَّ التقي من سوء الزللْ
وحافظ المخبت عن كل زَغَلْ

٣ - مصلياً على النبي المُرتضى
وآله وصحبه ذوي الرضا

٤ - والتابعينَ سُبلَ النجاة
وعقدَ أهلِ السنة الهُداة

٥ - وأسألُ الإله صدقَ القول
والعفو والثباتَ عند الهول

٦ - فاجعلْ لنا إلهَنا بصيرهْ
وعزةَ وحكمةً وفيرهْ

(فصلٌ في مجملِ اعتقاد السّلف)

٧ - فهذه عقيدةٌ من الأثرْ
نظمتُها تبصرةً لذي نَظَرْ

٨ - منيرةً لنا سبيلَ من سلفْ
مُنجيةً عن زيف كل من خلفْ

٩ - اللهُ موجودٌ عليٌّ في السَّما
ومن غير تشبيه تعالى قدَ سَما

١٠ - سبحانه استوى على العرش كما
قد جاءَ في الوحيين نصاً مُحكماً

١١ - وقُلْ معَ المخلوق حيثُ كانا
بعلمه وحفظه وبانا

١٢ - ولا تحُفَّنْ في هذه الكلِمْاتِ
الحد والمكان والجهاتِ

١٣ - كذاكَ تحيزٌ ولفظُ الجسمِ
وجوهر وعرض فافْتَهمِ

١٤ - فلم يردْ شرعٌ بذكر ذاكا
فقفْ ودوماً خالفَنْ هَواكا

١٥ - ولا زمٌ من ذاكَ نفيٌ الذاتِ
فاحذر قبولَ النفي والإثباتِ

١٦ - من غير ما تبيّن لما قُصِدْ
من ذلك الإطلاقِ مما قد وُجِدْ

١٧ - كلامـــهُ أيضـــاً بـــه ندينُ
مـــــنزّلٌ مـــن عنـــده مُبـــينُ
١٨ - ومـن يقل بخلقـــه فقد كفَرْ
مكـذبٌ بمـــا بـــه نـصَّ الخـبرْ
١٩ - وفي ختـــامِ ليلنـــا فهـو الـذي
ســـبحانهَ النـــازل للســـماء ذي
٢٠ - منادياً عبـــاده بالرَّحمـــة
راجينـــــه إجابـــــة للدعـوة
٢١ - وربُنـــا يـــأتي لـدى التنـــاد
للحكـم بالقســـــط إلى العبـــادِ
٢٢ - فـــاحكم لنـــا إلهنـــا الكريمـــا
بجنـــــة نحظى بهـــا النعيمـــا
٢٣ - إيمانُنـــــا بـــالعين واليـدان[1]
والســـــاق دون كيـف أو طغيـــانِ
٢٤ - ووجهـــهُ كمـــا بـــه يليـقُ
ونـورهُ أيضـــاً بـــــه حقيـقُ
٢٥ - وكـلُّ ذا وغـــيرهُ قـد جـــاءَ
في الوحـي لا تُبـد لـــــه العَـدَاءَ
٢٦ - وكـن لـــه مُصدقـاً مُســـلما
فـذاك نهـجُ كـل مـن تقدَّمـــا
٢٧ - صحابـة الرَّسـول أجمعينـا
فـــالزم وتابعيـــــه أتبعينـــا
٢٨ - ولا يضـرُّ بعـد ذاك مـن رَدَى
فزمـرةٌ قليلـــــةٌ أهـل الهـدى
٢٩ - وفـاضَ في ذاك الحديثُ والأثرْ
فافْقَهْـــهُ إنـــه نجـاةٌ للبشَـــرْ

(فصلٌ في الرد على المعطِّلة)

٣٠ - قـد جاءَنـــا معطلٌ محـرفُ
يقـولُ إثبـــاتُ الصفـــاتِ يُـردفُ
٣١ - تشـــبيهَ ربنـا بوصف خلقـه
فأولنْهـــا كـي تفـي بحقِّـــــه
٣٢ - فردُّنـا يـا صـاحبَ التعطيلِ
شَـــــبّهتَ قبـل ذلـك التعليـلِ
٣٣ - فـأولاً شـــبهته في قُدسـه
وبعـده نفيتَ وصـفَ نفســـــه
٣٤ - وليـس يـلزمُ الـذي قـد خَلَقَـا
لـوازمٌ مـن الـذي قـد خُلِقَـــا
٣٥ - فربنـــا منفـردٌ في الـذاتِ
وهكـذا الإثبـــاتُ للصفـــاتِ
٣٦ - وإن تجـد لفظين قـد توافقـا
فكنههـــا والكيـفُ قـد تفارقـــا
٣٧ - فـاعتقد الكمـالَ للإلـــه
وكـن عـن التكييـف دومـــاً لاه
٣٨ - فوحـده العليـمُ بالحقـــائقِ
وواجـبٌ إيمانُنـــا بـــاللائقِ
٣٩ - فـــأثبت الظـــاهرَ للتـنزيلِ
ومـن غـــير تحريـف ولا تمثيـل

(فصل في الرد على المفوضة)

٤٠ - وجـــاء فـوجٌ آخـر فـأعرضوا
قـد زعمـوا تشـــــابُهاً وفوَّضـوا

٤١ - وجـردوا اللفـظَ عـن المعـاني
فنســـــبوا الإبهـــام للقـرآن

٤٢ - فعطلوا صفـاتِ رب النَّـاسِ
وفـــارقوا طريقـــة الأكيـــاسِ

٤٣ - فقولُنـا يـا صـاحبَ التفويضِ
جَهلْـتَ لا تـرد إلى الحضيـضِ

٤٤ - فليسَ في القرآن لفظٌ دونما
معنـــاً فكـن ملازمـــاً مُعلِّمـــا

٤٥ - كـذا الصفـات للإلـه الرب
لهـــا معـــان كيفُهـــا في الغيبِ

٤٦ - والصحبُ والأتباعُ قد تكلموا
فيهـــا ومـــا زادوا ومـــا تـــأثَّموا

٤٧ - إذ قـالَ مـالكُ في الاســتواءِ
معنـــــاهُ معلـومٌ بـلا امـــتراءِ

٤٨ - وإنمـا كـــان الحـرامُ المنفـي
إن كـان ذاك عـن ســؤال الكيفِ

٤٩ - فـاحرص على فهمك للقرآن
تدبـراً مـن غـــير مـــا تـوانِ

٥٠ - فليس في نهجك من عرفـانِ
وإنمـــا وســـاوسُ الشـــيطانِ

(فصلٌ في الرد على الممثلة)

٥١ - وجـــاء قـومٌ أوردوا التمثيـلا
فجـــانبوا التنزيـــــه والتـــنزيلا

٥٢ - فقـد أتـو بـــأرذل البُهتـــانِ
وقـــاربوا عبـــادة الأوثـــانِ

٥٣ - وليـس في آرائهـم مـن عـبرة
إذ خـــــالفوا عقيـدة في الفطـرة

٥٤ - كـذاك قـول ربنـــا الجليـلِ
وليـس في الأشـــياء مـن مثيلي

٥٥ - فقـدرِ الإلـــــهَ حـقَّ القـدرِ
وخـــالفِ البلبـــالَ في ذا الفكْـر

(الخاتمة)

٥٦ - فهـذي ســتةٌ مـن الأبيـاتِ
مضروبـــة في عشـــرة ســـهلاتِ

٥٧ - ضمنتهـــا بـــالحمد والبيـــان
لكـــل حـــقٍ يصفـو عـن بُطـلانِ

٥٨ - عقيـدةً ســـــنيةً نقيـــهْ
فطرتـــــه وســـــطية تقيـــهْ

٥٩ - ســـــطرها الفقـيرُ للمقتـدر
وابـنُ الزبـــير بـنِ علـي الأثـري

٦٠ - فـــــالحمدُ لله علـى الـدوامِ
على الهُـدى والرشـــدِ والتمـامِ

* الحواشي:

(١) لغة كنانة: إلزام المثنى الألف.

الشيخ د: محمد موسى نصر

الإمام مكي بن أبي طالب واختياراته

أولاً - الإمام مكي بن أبي طالب القيسي:

١ - اسمه ونسبه: هو أبو محمد مكي بن أبي طالب بن مختار القيسي المقرىء.

يرجع نسبه إلى قبائل قيس عيلان، التي انتشرت بتلك الأصقاع، وتكاثرت حتى بلغت إلى ما بعد جبال الأطلس.

٢ - مولده ونشأته: وكان مولده بمدينة القيروان[١] - وهي التي نشأ فيها وترعرع - لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، ولا خلاف في ذلك، غير ما ذكره ابن خلِّكان عن الداني: أنه ولد - رحمه الله تعالى - سنة أربع وخمسين[٢].

٣ - طلبه للعلم ورحلاته: ففي تلك البيئة الغنية بأسباب الحياة، والتقدم والنشاط: استطاع مكي أن يطلب ويدرس؛ إذ كانت القيروان محجة العلماء وطلاب العلم: فقرأ على شيوخها خلال طفولته كلِّها[٣].

وهو في سنٍّ مبكرة لم يتجاوز الثالثة عشرة شدَّ الرحال إلى مصر؛ فكان يقيم سنتين أو ثلاثاً ثم يعود إلى القيروان أو يمضي إلى بلاد الحجاز ليؤدي فريضة الحج، وهو - رحمه الله - لا يقصّر ولا يكلّ، ثم فارق القيروان لا إلى رجعة إليها متوجهاً إلى الأندلس قاصداً قرطبة ليمضيَ هناك بقية عمره.

أبرز شيوخه: لما كان لمكي ذلك الدأب على الرحلة والطلب؛ فقد كثر شيوخه وتعدد معاصروه.

* **فأمَّا معاصروه؛** فمنهم: القيروان أصبغ ابن راشد اللَّخمي تفقَّه مع مكي على ابن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي.

* وكذلك أبو العباس المهدوي: وكان ذا علم بالقراءات والأدب.

* وأبو طاهر الأنصاري إسماعيل بن خلف، وهو عالم، مقرىء، نحوي، معروف

* وأما شيوخه؛ فمنهم: الحافظ أبو الحسن

القابسي، وهو من جلتهم وكان موضع إكبار الناس.

وكذلك: أبو محمد ابن أبي زيد، الذي انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي بالمغرب.

ذكر القاضي عياض أنه حاز رئاسة الدين والدنيا، ورُحِلَ إليه، ونجب أصحابه، وإلى هذا الشيخ: كان تفقُّه مكي ـ رحمه الله ـ وكانت روايته.

ومن شيوخه في مصر: محمد بن علي أبو بكر الأدفوني.

ذكر الإمام الذهبي أنه برع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره.

وكذا أبو الطيب بن غلبون[٤] وهؤلاء قليل من كثير من معاصري مكي وشيوخه.

أبرز تلاميذه: أول هؤلاء: أبو عمر المقريء واسمه: أحمد بن محمد الكلاعي.

* ومنهم ابنه أبو طالب محمد، وقد روى عن أبيه أكثر ما عنده.

* وممن اختص بمكي أيضاً، أبو عبدالله الطرفي محمد بن أحمد الكناني.

* ومن الولاة: أبو الوليد محمد بن جهْوَر، والي قرطبة بعد أبيه أبو الحزم.

* ومنهم: أبو عبدالله بن شريح، واسمه محمد بن أحمد، وأبو العباس بن نفيس، وتاج الأئمة أحمد بن علي.

* وكذلك الفقيه المحدث أبو عبدالله محمد بن عتَّاب.

وقال ابن الجزري في «طبقات القراء»: مكي بن أبي طالب.

إمام، علاَّمة، محقق، عارف، استاذ القرّاء والمجودين، وكان متديناً مشهوراً بالصلاح، وإجابة الدعوة، دعا على رجل كان يسخر به وقت الخطبة؛ فأقعد (شل) ذلك الرجل[٥].

وقرأ القراءات بمصر على ابن غلبون، وكان محسناً، مجوداً، عالماً بمعاني القراءات.

أخبرني: أنه سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وتردد إلى المؤدبين، وأكمل القرآن، ثم حج سنة سبع وثمانين، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، وعظم اسمه، وجل قدره[٦].

* وقد اختلفت عبارات المترجمين في تعيين اختصاصه، وليس هذا بعجيب؛ لأن مكياً ـ رحمه الله ـ كان من هؤلاء المتفردين الذين كانت علومهم شاملة.

* فالحميدي: يذكره بالإمام في القراءات والشهرة فيها[٧].

وأبو البركات: يصفه بأنه نحوي، عالم بوجوه القراءات[٨].

وابن بشكوال: أنه كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية[٩].

والإمام أحمد الضبي:

وصفه بالأدب والحفظ[١٠].

وقال إسحاق بن أحمد بن خلف: كنا عند البخاري، فورد عليه «أي: مكي» كتاب فيه نعي عبدالله بن عبدالرحمن، فنكس رأسه ثم رفع واسترجع، وجعل تسيل دموعه على خديه، ثم أنشأ يقول:

إنْ تبقَ تُفجعْ بالأحبة كُلِّهم
وفناءُ نفسك لا أبا لك أفجع[١١]

مؤلفاته: يُعدَّ مكي رحمه الله فيمن كثرت تآليفه.

ورأيت أن لا أذكر مؤلفاته خشية الإطالة، وإنما أشير إلى أشهرها، وأكبرها كتاب «التبصرة[١٢] في القراءات» خمسة عشر جزءاً، وكتاب «الكشف عن وجوه القراءات وعللها»، وله أكثر من ١٠٠ كتاب في فنون العلوم، من علوم القرآن، والقراءات، واللغة[١٣]، والفقه، وعلم الكلام،

ولم تزل الأئمة الكبار من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية يختارون مما عليه الجماعة من القراء، ويتبعون القراءات المتواترة المشهورة، ويجتنبون الشاذ منها، لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر. وإن كان موافقاً للعربية، وخط المصحف، لأنه جاء من طريق الآحاد. وإنه كانت نقلته ثقات؛ فتلك الطريق لا يثبت بها القرآن.

وغيره[١٤].

وكان شأنه شأن علماء السلف في القيام بعلوم كثيرة؛ فمن ذلك علمه بالحديث والرواية، وعلمه بتعبير الرؤيا، وكذلك علم الأصوات، وله مشاركة بينة في الفقه مكنته من كونه مالكي المذهب.

وقد أنشده أبو حيَّان قصيدة[١٥] وهي في تسعة عشر بيتاً.

مطلعها:

قل لمنْ يبغي المرا والجدلا
في البراهين وذكر التبدلا[١٦]

(في علوم القرآن): «التبصرة»، و«الكشف»، و«التذكرة في اختلاف القراء»، و«الإيضاح في الناسخ والمنسوخ»، و«تفسير القرآن» خمسة عشر مجلداً، و«مشكل غريب القرآن»، وكتاب «الاختلاف بين قالون والقراء».

(في علوم اللغة): كتاب «الزاهي في الإعراب» أربعة أجزاء، وكتاب «المنتقى» أربعة أجزاء، كتاب «الرياض» مجموع

وخمسة أجزاء، و«التذكرة لأصول العربية».

(في الفقه وعلم الكلام): كتاب «مناسك الحج»، وكتاب «الصغائر والكبائر»، وكتاب «المدخل إلى علم الفرائض»، وكتاب «التهجد»، وكتاب «منتقى الجوهر»، وكتاب «إسلام الصحابة»، و«الممتع في تعبير الرؤيا».

ولا تزال مصنفات مكي موضع اهتمام الباحثين والعلماء إلى زماننا هذا.

أخلاقه ومنزلته: كانت أخلاقه ـ رحمه الله ـ بما حظي به من فضائل نحيزة في نفسه. وبما أهَّلته له الحياة دُرْبةَ ومعاشرةً، تطبع واكتساب كلُ ذلك ائتلف ليبلغ به منزلة العلماء جلالةً، وقدوةً.

ومن ذلك ما ذكره أبو عمر بن مهدي أنه كان حسن الفهم جيد العقل.

وكل من ترجمه جوَّدَ دِينه وعقله، ونسبه إلى الفضل وأهله[١٧].

ولم أقف في ترجمته. على شيء يشينه. أو يصمه، لا من قريب ولا من بعيد، حتى أن في ذلك إجماعاً منهم على وصفه بالإمامة في العلم، والفضل في الخُلق، والتبحر في فنون العربية، والحفظ، والأدب.

ذكر الذهبي: أنه كان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم، وهو شيخ الأندلس وعالمها وكان من أهل التبحر في العلوم[١٨].

وفاته: لا خلاف في تاريخ وفاته(٤٣٧) فقد لبَّى مكي ـ رحمه الله ـ نداء ربه ـ تعالى ـ فجر يوم السبت، وشُيع جثمانه ضُحى يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، وقد ناهز الثانية والثمانين من عمره[١٩].

* وذكر أبو القاسم بن محمد: مشهد تشييعه: أن الذين شهدوا جنازته خلق عظيم من الناس، وحفَّ بسريره شباب ومشيخة معظم مشهده (وبكوه)، وختموا القرآن عليه ختمات عدة[٢٠] وتقدَّم ابنه أبو طالب فصلى عليه، وذكر أنه دفن بمقبرة الرَّبض[٢١]. أ. هـ.

قال الإمام بن الجزري: . في معرض تقسيمه لأنواع القراءة .: «وأما القراءة الصحيحة فهي على قسمين»[٢٢].

الأول: ما صح سنده بنقل العدل الضابط، عن العدل الضابط، كذا إلى منتهاه، ووافق العربية والرسم، وهذا على ضربين:

أ - ضرب استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول، كما انفرد به بعض الرواة، أو بعض الكتب المعتبرة، أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك.

فهو صحيح مقطوع به؛ أنه منزل على النبي ﷺ من الأحرف السبعة، كما تبين

حكم المقبور وهذا الضرب يلحق. وإن لم يبلغ مبلغها كما سيجيء.

ب - وضرب لم تتلقه الأمة بالقبول، ولم يستفض. فالذي يظهر من كلام كثير من العلماء جواز القراءة والصلاة به.

والذي نص عليه أبو عمرو بن الصّلاح وغيره: أن ما وراء العشرة ممنوع من القراءة به، منع تحريم لا منع كراهة.

* والجمهور يشترطون التواتر، ولا يكتفون بالصحة والاستفاضة وقال الإمام النويري: عدم اشتراط التواتر قول حادث، مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم؛ لأن القرآن ـــ عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة - هو: ما نقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً.

(قلت): ولعل الحق والصواب ـــ والله أعلم ـ مع الجمهور الذين اشترطوا التواتر وهو الأحوط لكتاب الله ـــ عز وجل ـــ ولأنَّ القراءات أبعاض القرآن؛ فإذا تواتر الكل تواتر البعض لزوماً.

يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه: «القراءة سنة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول».

وكان ممن اشتهرت إمامته وطال عمره في الإقراء وارتحال الناس إليه من البلدان، ولم يترك الناس، مع هذا نقل ما كان عليه الأئمة وهم:

١ - أبو عمرو البصري.
٢ - ونافع المدني.
٣ - وابن كثير المكي.
٤ - وابن عامر الشامي.
٥ - والكسائي الكوفي.
٦ - وحمزة الكوفي.
٧ - وعاصم الكوفي.
٨ - وأبو جعفر المدني.
٩ - ويعقوب الحضرمي.
١٠ - وخلف العاشر.

وأول من اقتصر على هؤلاء: أبو بكر بن مجاهد، شيخ القراء، وأول من سَبَّع السبعة، قبل سنة ٣٠٠ هـ أو في نحوها، وتابعه على ذلك من أتى بعده إلى الآن».

الاختيار:

ولم تزل الأئمة الكبار من الفقهاء والمحدثين وأئمة العربية يختارون مما عليه الجماعة من القراء، ويتبعون القراءات المتواترة المشهورة، ويجتنبون الشاذ منها، لخروجها عن إجماع المسلمين، وعن الوجه الذي ثبت به القرآن، وهو التواتر، وإن كان موافقاً للعربية، وخط المصحف، لأنّه جاء من طريق الآحاد. وإن كانت نقلته ثقات؛ فتلك الطريق لا يثبت بها القرآن.

فالاختيار يكون باتباع قراءة من قراءات الأئمة العشرة، التي تواترت نقلاً عن النَّبي صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الشافعية : يشترط أنْ يكون «المقروء به» قد تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآناً ، واستفاض نقله كذلك ، وتلقته الأمة بالقبول ؛ كهذه القراءات السبع ؛ لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد في الأصول . فما لم يوجد في ذلك ما عدا السبع أو ما عدا العشر ممنوع من القراءة به ، منع تحريم لا منع كراهة[٢٣] .

وهؤلاء الذين اختاروا، إنما قرؤوا بقراءة الجماعة وبرواياتهم، فاختار كل واحد منهم مما قرأ، وروى قراءةً تُنسب إليه بلفظ الإختيار؛ كقراءة عاصم الجحدري، وقراءة شيبة. وكذلك اختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، واختيار المفضل.

وقد اختار ابن جرير الطبري وغيره، وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء:

* قوة وجهه في العربية.
* وموافقته لخط المصحف.
* واجتماع العامة عليه[٢٤].

والعامة عندهم: ما اتفق عليه أهل المدينة والكوفة. فذلك عندهم حجة قوية يوجب الاختيار.

* وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا: أنَّ ما صحَّ سنده واستقام وجهه في العربية. ووافق لفظه خطَّ المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها. فهذا هو الأصل الذي بُني عليه في قبول القراءات عن السبعة؛ فاعرفه، وابنِ عليه.

شروط الاختيار.

١ - أن لا يخرج عن شروط أركان القراءة الصحيحة التي وضعها علماء القراءات، من حيث: التواتر، والوجه النحوي الصحيح الفصيح، وموافقة الرسم العثماني.

٢ - أن لا تخرج هذه القراءة أو الاختيار عما أُجمع عليه.

٣ - أن يكون الاختيار غير مخالف للإعراب، بل بأقوى وجوه الإعراب.

٤ - أن يكون هذا الاختيار مما توراثه أئمة القراءات، من قراءات متواترة، ونقلوه عن شيوخهم، وعلماء أمصارهم.

٥ - أن يختار الأشهر من القراءات والأكثر أخذاً عن القراء، ونحن نلحظ من خلال تتبع اختيارات أبي عبيد أنه يميل إلى قراءة الجماعة، وإن خالف شيخه الكسائي، وكذا كان الإمام مكي بن أبي طالب القيسي على ما عليه الجماعة من القراء

العشرة.

فقلما خالف أحدهما القراءة الأشهر، قراءة الجماعة، والأقوى لغة، وموافقه الرسم العثماني[٢٥].

ولطالما اختار الإمام مكي حروفاً من القرآن؛ لأنه أكثر القراء عليه، حتى أنه قال: في «الكشف» (٢ / ٣٨): «وكذلك كل ما سكتنا عن ذكر (الاختيار) فما عليه الجماعة هو الاختيار».

*الحواشي:

(١) انظر: «معجم البلدان» (١٩ / ١٦٧) وذكر ذلك ابن شكوال وغيره.

(٢) «وفيات الأعيان» (٤ / ٣٦١).

(٣) «جذوة المقتبس» (٣٢٩) وانظر: «بغية الملتمس» (٤٦٩).

(٤) «البداية والنهاية» (١٢ / ٥٠) و«شذرات الذهب» (٣ / ٢٥٤) و«الكشف» لمكي (١ / ١٠).

(٥) «غاية النهاية في طبقات القراء» (٢ / ٣٠٩ - ٣١٠) لابن الجزري ــ رحمه الله ــ.

(٦) المصدر السابق (٢ / ٣٠٩).

(٧) «جذوة المقتبس».

(٨) «نزهة الألباء» (٣٤٧).

(٩) «الصلة» (٥٦٧).

(١٠) «معرفة القراء الكبار» (٣١٩)، وانظر «الكشف» المكي (١ / ١٥)، وعزاه «سير إعلام النبلاء» (١١ / ١٣١).

(١١) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٢٢٨ ــ ٢٢٩).

(١٢) «وفيات الأعيان» (٤ / ٣٦٢)، و«مرآة الجنان» (٣ / ٥٨).

(١٣) بلغت مؤلفاته في اللغة وحدها أكثر من إحدى عشر كتاباً.

(١٤) انظر: «الكشف» المكي (١ / ٢٣ ــ ٢٩). تحقيق: د / محي الدين رمضان.

(١٥) وهي: لابن شق الليل محمد بن إبراهيم. وهو أحد معاصري مكي.

(١٦) حاشية: «إنباه الرواة» (٣ / ٣١٩).

(١٧) «نزهة الألباء» (٣٤٧)، و«معرفة القراء الكبار» (٣١٦).

(١٨) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ١٣١)، و«طبقات» ابن قاضي شهبة (٥٠٤)، و«معجم الأدباء» (١٩/ ١٦٨).

(١٩) انظر: «الصلة» (٥٩٩)، و«وفيات الأعيان» ٤ / ٤٦٣).

(٢٠) هذا: الفعل لا يجوز، وقد استنبط الإمام الشافعي من قوله تعالى﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ بأنَّ قراءة القرآن على القبور لا يصل ثوابها إلى الميت، وهذا هو الراجح من قولي أهل العلم. وقد ذكر ذلك عبدالسلام الشقيري في «السنن والمبتدعات» وشيخنا الألباني في «أحكام الجنائز وبدعها».

(٢١) معرفة «القراء الكبار» (٣١٧).

(٢٢) «منجد المقرئين» (٩٤ - ٩٥).

(٢٣) «اختيارات أبي عبيد ومنهجه في القراءة» بقلمي.

(٢٤) من خلال تتبعي لمنهج ابن جرير في اختياراته رأيته يميل وينتصر لما كان هو الأفصح والأقوى عنده - وإن كان عند غيره قوياً فصيحاً - لذلك طعن وفاضل بين كثير من القراءات، وقد رددت عليه في موسوعة شاملة تقع في نحو ثلاث مجلدات كبار اسمها: «الردود والتعقبات على ابن جرير في طعنه بالقراءات» يسر الله طبعها.

(٢٥) «اختيارات أبي عبيد ومنهجه في القراءة» بقلمي.

الشيخ سعد الحصّين

المشاحة في الاصطلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

أصدق اصطلاحاتنا اللغويّة الحديثة ـ ردَّنا الله إلى لغة الكتاب والسنّة ـ قول أحد كتّاب العرب المحدثين: «العرب ظاهرة صوتيّة»، أي: أن نصيبنا القول، ونصيب غيرنا العمل.

وليت نصيبنا من القول صُرف في ما استخلفنا الله فيها: القرآن والسّنة ـ الوحي اليقينّي الذي اختصّ الله لغتنا به ـ التزاماً ونشراً، إذاً لحُزْنا الخير بحذافيره، قال الله تعالى: ﴿**فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه**﴾.

و﴿**القول**﴾ هنا خاصّ بالوحي من الله تعالى؛ كما قال الله لموسى: ﴿**وأمر قومك يأخذوا بأحسنها**﴾، وقوله: ﴿**واتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ وقال الله تعالى: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله**﴾، وأما قول البشر فليس علينا استماعه كلّه.

ويظهر لي من تخلّفنا في الصّناعة من قَبْل ومن بَعْد؛ بما في ذلك صناعة علوم القرآن والسّنة، بل واللّغة فهرسة، وطباعة، وتقصيداً، وتخلّفنا عن أعاجم المسلمين في جمع وتخريج السّنّة؛ أن الله اختصّنا بما عمّ به المسلمين من خدمة الدين بالدّعوة إلى الله على بصيرة، بالوسائل الفطرّية التي لا يعجز عنها بشر سويّ، «فكلّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له» متفق عليه.

وفي المقابل يسّر الله غير المسلمين لخدمة الدّنيا والدّعوة إليها، فهم أحقّ وأولى بها، قال الله تعالى: ﴿**ولولا أن يكون الناس أمّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسُرُراً عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدّنيا والآخرة عند ربك للمتقين**﴾، وقال رسول الله ﷺ: وعلى آله وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر» رواه مسلم، ومن فضل الله وعَدْله ألاّ يعطي عبداً من عباده ـ مؤمناً كان أو كافراً ـ كلَّ شيء وألاّ يحرمه من كلِّ شيء.

ولكن أكثر المسلمين أهملوا ما خلقهم الله ويسّرهم له، وتطلّعوا إلى ما خلق الله الكافرين ويسّرهم له؛ فخسروا الأمرين، كما قالوا عن الغراب الذي حاول مشية الحمامة فخسر المشيتين، والأصح هنا أن نقول: إن الحمامة العربية هي التي حاولت مشية الغراب الغربي؛ فخسرت الأولى والثانية.

ومهما بذلنا من جهود وأموال وأوقات وتضحية بالذي هو خير في سبيل الذي هو أدنى ولن يتجاوز نصيبنا التبعيّة والتّقليد والتّخلّف، وكان عزاؤنا الكلام، أيّ كلام؛ وهذان مثلان من الأمثلة:

أ - قال عربي لا يُعرف له اسم ولا رسم: «لا مُشاحّة في الاصطلاح» في فقه الدين، وقال آخر: «إتق شرّ من أحسنْتَ إليه» في الأخلاق، وقال ثالث: «الامتحان شرّ لا بدّ منه» في التّعليم، وقال رابع: «الأمثال لا تُغيرّ» في الحكم الشعبية.

ولو سَمَتْ هِمَمُنَا إلى عرض هذه الأقوال ــ ومثلها كثير ــ على الشرع أو العقل لما قبلناها، وردَّدناها، واستشهدنا بها دون تمحيص كأنّها وحي منزّل، بل إن كثيراً من مثقّفينا الإسلاميين فضلاً عن الأمّيّين لا يقبل الوحي المنزّل المبنيّ على الإيمان بالغيب إلا بعد عرضه على فِكرِه «واقتناعه» به:

١ - والحقّ أن المشاحّة واردة على الاصطلاح الحادث في علوم الدين عقيدة وعبادة ومعاملة أو سلوكاً حتى يقرّه شرع الله من الكتاب والسّنة وفقه أئمة العلم في القرون المفضّلة.

٢ - وقد أمر الله بالإحسان في المعاملة

ويظهر لي من تخلّفنا في الصّناعة مِن قَبْل ومن بَعْد؛ بما في ذلك صناعة علوم القرآن والسّنة، بل واللّغة فهرسة، وطباعة، وتقصيداً، وتخلّفنا عن أعاجم المسلمين في جمع وتخريج السّنّة؛ أن الله اختصّنا بما عمّ به المسلمين من خدمة الدين بالدّعوة إلى الله على بصيرة، بالوسائل الفطريّة التي لا يعجز عنها بشر سوي؛ «فكلّ مُيَسَّرٌ لما خُلق له» متفق عليه.

للمسلم وللكافر غير المحارب، قال الله تعالى: ﴿**ويدرءون بالحسنة السّيئة أولئك لهم عقبى الدار**﴾، وقال تعالى: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السّيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾؛ فعاقبة الإحسان الخير لا الشرّ.

٣ - وبفضل من الله ورحمة لم يجعل الشَّرَّ طريقاً لنا إلى الخير، قال الله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾، وقال تعالى: ﴿**يحل لهم الطّيبات ويحرّم عليهم الخبائث**﴾، والامتحان الذي كان يحكم التعليم في جميع مراحله شرٌّ كان منه بدّ. وآثاره السّيئة على العلم وطلابه ــ من بداية التنظيم الدّراسي إلى نهايته ــ لا ينكرها إلاّ جاهل أو مكابر.

٤ - والأمثال قد تكذب فتُردّ، وقد... تَصْدُق؛ فتُوضع في مكانها الصحيح، وأصدقُها ما جاء في كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿**كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾ وما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل: «ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمّ، فلينظر بم يرجع» رواه مسلم. وقد ردّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم كثيراً من أقوال العرب ومصطلحاتهم وأمثالهم وأسمائهم، مثل نهيه عن سبّ الدهر، وما أكثر ما يُسَبُّ إلى اليوم شعراً ونثراً، ونهى عن أسماء تدلّ على الصّلاح، وأسماء تدلّ على ما دون ذلك. بل نهى عن تسمية العنب كرماً، ونهى أن تسمى صلاة العشاء صلاة العتمه.

ب - ولأن الطّموح إلى التّرف قعد بنا عن الطّموح إلى المنازل العليا التي أراد الله لنا ــ شرعاً ــ أن نتنافس فيها، وأعلاها في الدّنيا هداية الناس إلى التّوحيد والسّنة، وفي الآخرة: رضاه والجنّة؛ اكتفينا بالقعود في المؤخرة نرقب ما يفعله الآخرون، وننحت له الاسماء والمصطلحات، ونحكم عليها، وهذه بعض الأمثلة:

١ - انتظار الأحداث المحليّة والعالميّة، ثم تحليلها سياسياً وفكرياً، وإصدار الأحكام السّريعة عليها، بلا موازين غير الظنّ وما تهوى الأنفس، وبين أيدينا هدي الكتاب والسّنّة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الله تعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾ محذّراً من الوقوع فيما وقع فيه الضالون قبلنا.

٢ - عزْوُ كلّ ما يحدث في الكون إلى مؤامرات محبوكة لا تخيب وتخطيط دقيق

ولأن الطّموح إلى التّرف قعد بنا عن الطّموح إلى المنازل العليا التي أراد الله لنا ـ شرعاً ـ أن نتنافس فيها، وأعلاها في الدّنيا هداية الناس إلى التّوحيد والسّنة، وفي الآخرة: رضاه والجنّة؛ اكتفينا بالقعود في المؤخرة نرقب ما يفعله الآخرون وننحت له الأسماء والمصطلحات، ونحكم عليها.

لا يفشل من أمريكا واليهود، حتى أشركوهما ـ إن لم يكونوا أفردوهما ـ في الرّبوبية والتّدبير والتّصرّف ونسوا أقدار الخالق وخطايا المخلوق، قال الله تعالى: ﴿**قل كلٌّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾.

٣ - ترجمة كلمة: «SECULAR» إلى: علماني ـ بكسر العين ـ، وقليل من يعقل أن أصل استعمالها الحديث بدأ بخروج النّظام الأوروبي البشري عن سلطة الكنيسة الكاثوليكيّة، وليس للمسلم أن يحزن كثيراً لهذا الحدث فإن كلاًّ من الخارج والمخروج عنه مُنْحرف عن شرع الله. وللأسف فإن تنفيذ المسلمين لما نقلّوه من أحكام البشر أسوأ منه، وأقرب مثال حكم القانون في فرنسا بحقّ المرأة المسلمة في الحجاب، وتحريمه في تركيا.

٤ - ترجمة كلمة «SOCIALSM» إلى: اشتراكيّة، والحكم عليها بما وصلت إليه بسبب التنفيذ العربي الفاشل للفكرة الأوروبية وتنفيذها الفاشل، ومن ثمّ الحكم عليها بالكفر، وفي الوقت نفسه، وبسبب جهلهم بأحكام الأموال في الإسلام، وصنف بعضهم هذه الأحكام بالاشتراكية الإسلاميّة.

٥ - تعريب كلمة «DEMOCRACY»

إلى: ديمقراطيّة، وحمّلوها أكثر ممّا تحمل من خير أو شرّ، بحكمهم على التّنفيذ النّاجح أو الفاشل للديمقراطية، منذ ولاية المدينة في اليونان قبل ٢٥٠٠ سنة، وبما صاحب التنفيذ من تحكيم قوانين البشر، ثم طالبوا بها للوصول إلى السّلطة بطريق الانتخابات والمظاهرات والاضرابات رفضاً لتعيين ولاة الأمر خلفاءهم وعمّالهم، وهو بلا شكّ أقرب إلى الشرع والفعل من حُكْم الأكثريّة الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**ولكن أكثر الناس لا يشكرون**﴾، ﴿**لا يعلمون**﴾، ﴿**لا يؤمنون**﴾.

٦ - ترجمة كلمة «CAPITALIS»

إلى: رأسمالية، وربطوها بأمريكا وحكموا عليها بالكفر، ثم سعوا إليها باسم البنوك الإسلامية والمستشفيات الإسلاميّة، والمدارس والمعاهد والكليات والمراكز الإسلامية، بل والفرَق الفَنّيّة والنّوادي الإسلامية.

والحقّ أنه لا يجوز الحكم على فرد أو تنظيم أو شيء، إلا بما جاء به الوحي المنزّه عن الظنّ واحتمال الخطأ، وبفقه أئمة العلم الشرعي في القرون المفضلة في نصوصه، وبذلك وحده يتميّز الكفر من الإيمان، والحرام من الحلال والمباح، وأمور الدّنيا والعادات من أمور الدّين والعبادات. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

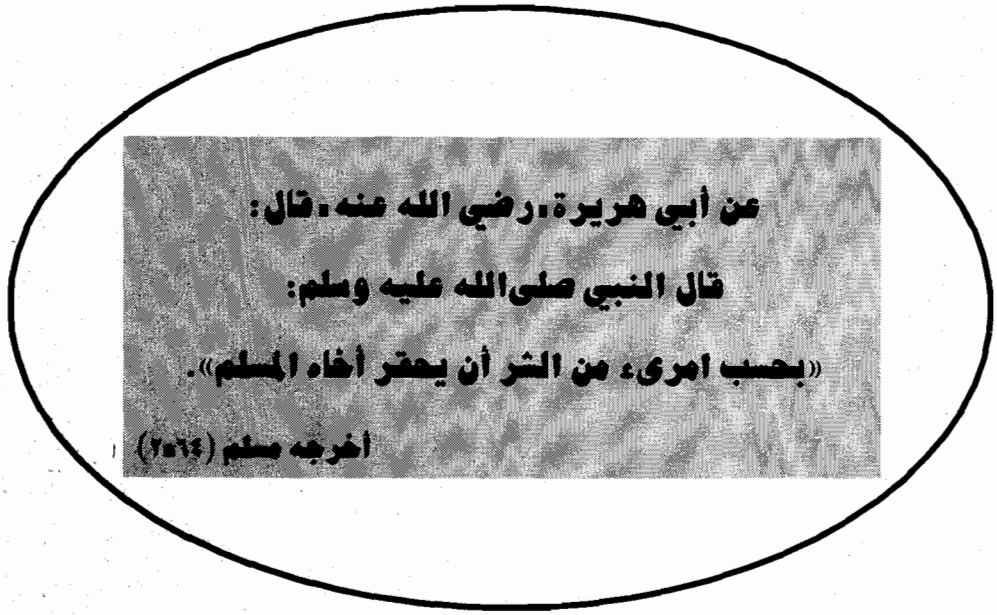

الشيخ عبدالله بن صالح العبيلان

دروس في منهج السلف

المبحث الأول: المقصود بالسَّلف الصالح:

أ - في اللغة: «يقول ابن الفارس: السين واللام والفاء أصلٌ يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السّلاف: المتقدمون».

ب - إصطلاحاً: اختلفت آراء الباحثين حول مفهوم هذا المصطلح وعلى من ينطبق، على أقوال كثيرة أهمها أربعة:

- الأول: يرى البعض تحديد مذهب السلف بفترة معينة لا يتعدَّاها، ثم يزعم أصحاب هذا القول أن الفكر الإسلامي قد تطور بعد ذلك على يد رجاله.

- الثاني: والبعض الآخر يرى أن السَّلف نصيون يعتمدون على النصوص فقط، ولا يعولون على العقل في شيء، وأنهم بالتالي يسلِّمون للنصوص دون فهم لما دلَّت عليه، ويفوّضون معانيها إلى الله تعالى، وأنهم اشتغلوا بما يرونه أنفع من أنواع العبادات والقربات.

- الثالث: وفئةٌ تزعم أن ما نشأ من الدراسات العقلية في علم الكلام، نشأ من مذهب السلف نفسه، لا بسبب تأثير خارجي.

- الرابع: يزعم أصحابه أن مذهب السلف على عدَّة اتجاهات وتيارات، وأن هذه التيارات وإن تباينت في المنهج إلا أنها تلتقي على أنها نشأت وقامت على يد علماء الإسلام.

وقد أخطأ أصحاب هذه الأقوال من تحديد المقصود بالسلف، وذلك بأنهم نظروا إلى المسألة بناءً على أصول منهجيّة غير صحيحة، ولم ينطلقوا من منطلق شرعي واضح.

ولكي نصل إلى مفهوم صحيح يحدّد المقصود بمصطلح السلف تحديداً دقيقاً، لا بد لنا من اعتبار بعض الأمور المهمة من المسألة:

- الأمر الأول: معرفة التحديد الزمني

لبيان بداية مذهب السلف.

وقد تباينت فيه الأقوال أيضاً على أربعة أقوال:

١ - فمن العلماء من قَصَرَ ذلك على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقط.

٢ - ومنهم من قال: بأنهم الصحابة والتابعين.

٣ - ومنهم من قال: بأنهم من كانوا قبل الثلاث مئة.

- والقول الصحيح المشهور الذي عليه جمهور علماء أهل السنة، هو القول الثالث. الذي يعد المقصود بالسلف من الناحية الزمنية القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- الأمر الثاني: أن التحديد الزمني غير كاف لتحديد مفهوم السلف؛ لأننا نلاحظ أن كثيراً من الفرق والبدع ظهرت في تلك الفترة الزمنية؛ لذلك فوجود شخص ما في هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه سائرٌ على مذهب السلف، ما لم يكن موافقاً للكتاب والسنة في أقواله وأفعاله متبعاً لا مبتدعاً، لذلك نلاحظ أن كثيراً من العلماء يُقيِّد هذا المصطلح عند استعماله فيقول: «السلف الصالح» وإن كان الإطلاق جائزاً لاصطلاح العلماء على ذلك.

وبهذا فإن لفظ السلف حين يطلق يجب أن يصرف لا إلى مجرد السبق الزمني، بل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم ومن بعدهم، بشرط الالتزام بمنهجهم.

- الأمر الثالث: أنه بعد الفرق وحصول الافتراق أصبح مدلول السلف منطبقاً على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج الإسلامي، طبقاً لفهم القرون الأولى الفاضلة، وعد بعض العلماء هذا المصطلح مرادفاً للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة إلا أنه أخصُّ منها.

المبحث الثاني: الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم.

أ - من القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾[١].

- وقال تعالى: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾[٢].

فوعد الله عز وجل من اتبع غير سبيله بعذاب جهنم، ووعد متَّبعه بالجنة والرضوان.

ب - من السنة:

- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»[٣].

- حديث العرباض بن سارية الطويل: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، فتمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٤].

فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أمته بأن يتبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين، وذلك عندما وقعوا في الاختلاف والتفرق؛ كما جاء في وصف الفرقة الناجية من حديث الافتراق قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[٥]، فمتّبعهم يكون من الفرقة الناجية، والمبتعد عنهم يكون من أهل الوعيد.

جـ ـ من أقوال السلف.

- عن عبدالله بن مسعود قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[٦].

- وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: «من كان منكم متأسياً؛ فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[٧].

- وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عن ما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»[٨].

أصول منهج السلف:

أ ـ في العقيدة:

١ - حصرهم لمصدر التلقي في باب الاعتقاد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

٢ - احتجاجهم بالسنة الصحيحة في العقيدة، ولا يفرّقون بين المتواتر والآحاد، وما ورد في كتبهم من الأحاديث التي فيها مقال؛ فلا يوردونها للتأصيل وإنما للاستئناس كما يوردونها بأسانيدها.

٣ - فهمهم للنصوص على ضوء أقوال السلف وتفاسيرهم وما نقل عنهم.

٤ - التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء

العقل دوره الحقيقي، وعدم الخوض في الأمور الغيبيّة، مما لا مجال للعقل فيه.

٥ - عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، ورفض التأويل الكلامي.

٦ - الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة.

*** مميزات عقيدة السلف التي تميزت بها عن بقية الفرق الأخرى:**

١ - أنها مستقاة من النبع الصافي الكتاب والسنة، بعيدة عن كدر الأهواء والشبهات، وخالية من تأويلات المؤثرات الخارجية.

٢ - أنها تترك في النفس الطمأنينة والسكينة، وتبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام.

٣ - أنها تجعل موقف المسلم موقف المعظِّم لنصوص الكتاب والسنة؛ لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب وفي ذلك منجاة كبرى، ومزيّة عظمى.

٤ - أنها تحقق للمسلمين الوصف الذي رضيه الله لهم بقوله: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[٩].

٥ - أنها تربط المسلم بسلفه الصالح.

٦ - أنها توحّد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم؛ لأنها استجابة لقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**[١٠].

٧ - أن فيها السلامة لمن تمسك بها، ودخوله فيمن بَشَّرَهم النبي ﷺ بالنصر والظهور في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة.

٨ - أن التمسك

> إتفاق أهل الحديث على أمور العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان، يصف الأصبهاني هذا القول؛ فيقول: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طلعت إلى جميع كتبهم المصنَّفة ـ قديمهم وحديثهم ـ مع اختلاف بلدانهم، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد منهم في قطر من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد: يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافاً ولا تفرّقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء على قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟»

بها من أعظم أسباب الثبات على الدين.

٩ - أن لها تأثيراً عظيماً على سلوك وأخلاق المتمسك بها، وهي بالتالي من أعظم الأسباب للاستقامة على دين الله.

١٠ - أنها من أعظم أسباب القرب إلى الله تعالى والفوز برضوانه وهذا بالتالي يقودنا إلى الكلام على موضوع له ارتباط لما سبق ذكره وهو:

* خصائص منهج السلف:

١ - ثباتهم على الحق وعدم تقلّبهم، كما هي عادة أهل الأهواء، قال حذيفة لأبي مسعود: «إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين، فإن دين الله واحد».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»[١١].

وذلك ناتج بأن ما هم عليه هو الحق والهدى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن ما عند عوام المسلمين علمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه: أمرٌ لا يُنازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين»[١٢].

٢ - اتفاقهم على أمور العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان، يصف الأصبهاني هذا القول، فيقول: «ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق، أنك لو طلعت إلى جميع كتبهم المصنَّفة ـ قديمهم وحديثهم ـ مع اختلاف بلدانهم، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد منهم في قطر من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد: يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافاً ولا تفرّقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء على قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟»[١٣]

٣ - اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هي الأسلم والأعلم والأحكم، لا كما يدعيه أهل الكلام «أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم».

يقول شيخ الإسلام ـ في رد هذه الفرية ـ «لقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين

الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف»[١٤].

٤ - أنهم أعلم الناس بأحوال النبي ﷺ وأفعاله وأقواله؛ لذلك هم أشدُّ الناس حباً للسنة، وأحرصهم على اتباعها، وأكثرهم موالاة لأهلها.

يقول شيخ الإسلام: «فإنه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق، وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم قولاً وحالاً؛ لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق»[١٥].

وبذلك يتضح أنهم أحق الناس وأولاهم بأن يكونوا الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وبهذا يتبيّن أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة، الذين ليس لهم متبوع يتعصَّبون له إلا الرسول - عليه الصلاة والسلام - وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها تصديقاً وعملاً وحباً، وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها»[١٦].

٥ - أخص مميزاتها حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة والدين القويم الذي بعث الله به رسوله؛ وتعليم الناس وإرشادهم والنصح لهم مع الرد على المخالفين والمبتدعين.

٦ - وسطيتهم بين الفرق يقول شيخ الإسلام: «أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام بين الملل» ثم بيَّن هذه الوسطية في مكان آخر؛ قال: «فهم وسط في باب صفات الله - سبحانه وتعالى - بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة.

- وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية.

- وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

- في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

- في أصحاب النبي ﷺ بين الروافض والخوارج[١٧].

٧ - التزامهم بالأسماء والألقاب الشرعية.

٨ - حرصهم على الجماعة والألفة ودعوتهم لها، وحث الناس عليها، ونبذهم للاختلاف والفرقة، وتحذير الناس منها ويلاحظ هذا من أشهر أسمائهم فهم أهل السنة والجماعة، فهذا كما هو موجود في أصولهم العلمية النظرية؛ فهو موجود في

حياتهم تطبيقاً واقعياً عملياً.

تم بحمد الله وعونه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحواشي:

(١) النساء: (١١٥).

(٢) التوبة: (١٠٠).

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد (٤ / ١٢٦ - ١٢٧)، وأبو داود ٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والدارمي (١ / ٤٤) والبغوي في «شرح السنة» (١ / ٢٠٥).

(٥) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣١٥)، وأحمد (٢ / ١١٠) والدرامي (٢١١)، وابن وضاح (١٣٠).

(٦) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (ح: ١١٥ - ١٠٦).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٩٧٠٢).

(٨) الآجري في «الشريعة» (ص٥٨).

(٩) النساء (٦٥).

(١٠) آل عمران: (١٠٣).

(١١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٥١).

(١٢) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٤٩).

(١٣) «الحجة في بيان المحجة لقوام السنة» الأصبهاني.

(١٤) «مجموع الفتاوى» (٥ / ٩).

(١٥) «مجموع الفتاوى» (٤ / ١٤٠ - ١٤١)، وانظر (٤ / ٢٦).

(١٦) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٩ و٣٤٧، ٤/ ٩٧).

(١٧) «مجموع الفتاوى» (٣ / ١٤١)، وانظر «شرح الطحاوية» (ص ٥١٨ - ٥٢٨).

حرص أهل الحديث على الجماعة والألفة ودعوتهم لها، وحث الناس عليها، ونبذهم للاختلاف والفرقة، وتحذير الناس منها، ويلاحظ هذا من أشهر أسمائهم فهم أهل السنة والجماعة، فهذا كما هو موجود في أصولهم العلمية النظرية؛ فهو موجود في حياتهم تطبيقاً واقعياً عملياً.

الشيخ د: صالح بن غانم السدلان[1]

التلازم بين العلم والعمل

من خصائص العلوم الشرعية وسماتها الأساسية التلازم بين تعلمها والعمل بها

جاء هذا الإسلام ومنهجه منهج علمي أصيل؛ ذلك أنه بدأ كتابه المعجز بهذه الكلمة الجامعة ﴿**أقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ ثم وجدنا علماءنا وسلفنا الصالح وعلى رأسهم الإمام البخاري ـ رضي الله عنه ـ يُعَنْون للعلم بقوله: بابٌ: «العلم قبل القول والعمل» ثم يعلل ذلك؛ فيقول: بأن العلم شرط في صحة القول والعمل؛ فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل.

وهذه العبارات منضبطة وواضحة ثم يسترشد على ذلك بقول الحق تبارك وتعالى ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله وأستغفر لذنبك**﴾؛ فقدم العلم على الشهادة، ثم قال: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فالعلم في الإسلام لا يراد مجرداً عن العمل منفصلاً عنه، إنما العلم والعمل أمران متلازمان لا ينفكان أبداً.

يقول ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ: «العلم إمام العمل» وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به؛ فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه.

قال بعض السلف: «من عبد الله بغير علم كان ما يُفسد أكثر مما يصلح، والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له. فالعمل الموافق للعلم هو المقبول، والعمل المخالف له هو المردود، فالعلم هو الميزان وهو المحك» قال تعالى: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور**﴾.

قال الفضيل بن عياض. «هو أخلص العمل وأصوبه». قالوا: يا أبا علي؛ ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل؛ وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً

صواباً؛ فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة؛ قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ (الكهف: ١١٠)».

فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مراداً به وجه الله، ولا يتمكن العامل من الإتيان بعمل يجمع هذين الوصفين إلا بالعلم؛ فإن لم يعمل بما جاء به الرسول لم يمكنه قصده، وإن لم يعرف معبوده لم يمكنه إرادته وحده؛ فلولا العلم لما كان عمله مقبولاً، فالعلم هو الدليل على الإخلاص، وهو الدليل على المتابعة».

وقال أيضاً: «وحرمان العلم من وجوه ستة، وعد منها الوجه السادس: عدم العمل بالعلم؛ فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا اهمل العمل به نسيه.

قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به».

وقال أيضاً: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه حل وإلا ارتحل. فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته، وترك العمل بالعلم إضاعة له، فما اسُتدرَّ العلم ولا اسُتجلِب بمثل العمل».

نعم إن العلماء لم يحتلوا هذه المكانة الرفيعة في نفوس العامة والخاصة؛ إلا لما امتازوا به من علم وخلق وأمانة وزهد؛ وذلك لتمسكهم بالقيم التي كانوا يؤمنون بها ويعبرون عنها، فكانت أقوالهم معبرة تماماً عن أفعالهم، وكانت أفعالهم ترجمة حقيقية لكل ما كان يقولون.

لقد كان العلم بالنسبة لهم التزاماً يجب الوفاء به، وعهداً لافكاك منه، فإذا تحدث أحدهم عن الأخلاق نجده أول من يلتزم بها، وإذا تحدث عن الإيمان والتمسك بكلمة الحق نجده يضحي من أجله، وما قصة الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية منا ببعيد.

إن العلم في نظر الإسلام ليس مجرد حشو الرؤوس بالمعلومات، مهما تكن قيمة هذه المعلومات فلا يكفي فيها محض اكتسابها وتحصيلها؛ بل لا بد لصاحبها من الالتزام بالعمل وبالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله، والتي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا ورثة الأنبياء.

إنه يجب أن يتحول الإيمان والفكر والخلق الإسلامي إلى واقع حي يمارسه الناس، وينتفعون به في صلاح أنفسهم ومجتمعهم.

إنه العلم الذي يهيء الفرد المسلم

إن العلم في نظر الإسلام ليس مجرد حشو الرؤوس بالمعلومات، مهما تكن قيمة هذه المعلومات فلا يكفي فيها محض اكتسابها وتحصيلها؛ بل لا بد لصاحبها من الالتزام بالعمل وبالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله، والتي جعلتهم أهلاً لأن يكونوا ورثة الأنبياء.

إنه يجب أن يتحول الإيمان والفكر والخلق الإسلامي إلى واقع حي يمارسه الناس، وينتفعون به في صلاح أنفسهم ومجتمعهم.

بالمهارات التي تعينه على المساهمة في عمارة الحياة وكسب عيشه؛ ولذا استعاذ الرسول ﷺ من علم لا ينفع.

فيجب على كل من تعلم علماً أن يعمل به، فلا يكذب قوله فعله؛ لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر.

فإذا خالف العلم العمل منع الرشد، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟!!!

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل؛ إذ يزل بزلته عالم كثير، ويقتدون به، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها.

يقول علي رضي الله عنه: «قسم ظهري رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك. فالجاهل يغر الناس بتنسكه، والعالم يغرهم بتهتكه».

وعن ميمون بن مهران قال: قال أبو الدرداء: «ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات».

وقال بعض الحكماء: «لولا العقل لم يكن علم، ولولا العلم لم يكن عمل».

وقالوا: «من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذاباً من أقبل عليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به، فطوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وطوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وعزل عن الناس شره، وأمسك الفضل من قوته».

تم بحمد الله ـ تعالى ـ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* الحواشي:

(١) انظر هذا الموضوع: «مفتاح دار السعادة»، (ص ١٠٢ - ١٠٣. ٢١٣ - ٢١٥) و«مسيرات البحث العلمي»، (ص١٣٥ ـ ١٣٦). و«إحياء علوم الدين»، (ص٦٤ ـ ٦٥) و«جامع بيان العلم وفضله» (ج٢ص٦). و«حديث أبي الدرداء» (ص ١٤)، وما بعدها، و«مفتاح السعادة»، لطاش كبرى زاده، (ج١ ص٢٨، وص١٠٦). و«عوائق الطلب» (ص٢١ وما بعدها).

د. أحمد آل سلوم

زواج المتعة وحرمته المؤبدة في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يختلف أحد من الخلق في أن الزواج سنة من سنن الله عز وجل في الخلق والتكوين، وهو حاجة مطردة وضرورة نفسية، وغريزية، واجتماعية في عالم الإنسان.

قال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك الآيات لقوم يتفكرون**﴾ (الروم: ٢١).

بل إن الزوجية أساسية حتى في عالم الحيوان والنبات، قال تعالى: ﴿**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾ الذاريات: ٤٩) وقال سبحانه: ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبتُ الأرضُ ومِنْ أنفسُهم ومما لا يعلمون**﴾ (يس: ٣٦).

وقد جعل الإسلام العلاقة الزوجية ميثاقاً غليظاً، واتصالاً كريماً، مبنياً على الإيجاب والقبول والإشهاد، على أن كل منهما قد أصبح للآخر، وبهذا وضع للغريزة البشرية سبيلها المأمونة، وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة عن أن تكون مرتعاً مباحاً لكل راتع.

وبعد ذلك فإن نواة الأسرة في الإسلام تحوطها عاطفة الأبوة وحنو الأمومة؛ فتكون أبقى وأثبت للمجتمع الذي ارتضاه الله عز وجل، وأبقى لقوة أواصره وديمومة تحضره وتقدمه.

وقد واجه الإسلام عدة أنواع من الأنكحة هدمها جميعاً، وكانت كلها في الجاهلية قبل الإسلام إلا نكاح الناس اليوم، والذي لا يتحقق إلا بتوفر أركانه من الإيجاب والقبول وبشرط الإشهاد، ومن الولي والشهود وبشرط الإشهار، وبهذا يتم العقد الذي يفيد حلّ استمتاع كل زوج بالآخر على الوجه الذي شرعه الله عز وجل، وبه أيضاً تثبت الحقوق والواجبات التي تلزم كلا منهما.

وقد رغّب الإسلام في الزواج؛ فتارةً يذكر

أنه من سنن الأنبياء وهدي المرسلين وسمت الصديقين والصالحين الذين هم قدوة للعالمين، وأخرى يبين لنا فيه أن الزواج آية من آيات الله عز وجل، وأخرى يذكرنا في معرض الامتنان، وكيف أن المرأة خير كنز يضاف إلى رصيد الرجل لدنياه وآخرته، وإنما رغب الإسلام في الزواج على هذا النحو لما يترتب عليه من آثار نافعة تعود على الفرد والأمة والمجتمع، بل الجنس البشري بأجمعه.

ولعل من أهم غايات الزواج في الدين بعد سكون الغريزة الجنسية، وما تلح به على صاحبها من إيجاد أنسب مجال حيوي لإروائها وإشباعها، تأتي المصلحة الخاصة والعامة في إنجاب الأولاد وتكثيرهم؛ لأن العزة للمكاثرين، غير أن الشعور بتبعة الزواج ورعاية الأطفال والقيام بأعباء المسؤولية الجديدة في الحياة الزوجية يعتبر من المحاور الرئيسية في هذه الفضيلة دون انقطاع، إذ أن المجتمع المترابط المتحابّ هو المجتمع القوي السعيد الذي تحكم أواصره المحبة والصلات الاجتماعية المباركة المستقيمة، على النحو الذي يرضاه الله عز وجل، ويوافق سنة رسوله الكريم ﷺ.

والركن الحقيق للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط بشروط الإيجاب والقبول (أي شروط الانعقاد) ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر محددات معينة؛ لأن المقصود من الزواج دوام المعاشرة للتوالد، والمحافظة على النسل وتربية الأولاد، ولهذا حكم الفقهاء وجمهور العلماء على زواج المتعة والتحليل بالبطلان؛ لأن الأول مقصود به مجرد الاستمتاع الوقتي، ويقصد بالثاني تحليل الزوجة لزوجها الأول، فكلاهما حرام شرعاً.

وزواج المتعة زواج متفق على تحريمه بين أئمة المذاهب؛ وقالوا: إنه إذا انعقد يقع باطلاً ودليلهم في ذلك.

أولاً: أن هذا الزواج لا تتعلق به الأحكام القرآنية المتعلقة بالزواج من: طلاق، وعدة، وميراث؛ فيكون باطلاً.

ثانياً: نصت السنة الصريحة بتحريمه، فعن سَبُرَة الجهني: أنه غزا مع النبي ﷺ في فتح مكة؛ فأذن لهم رسول الله ﷺ في متعة النساء، قال: فلم يخرج منها حتى حرمها رسول الله ﷺ.

وفي لفظ لابن ماجه: أن رسول الله ﷺ حرّم المتعة فقال: «يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع، ألا وإن الله حرمها إلى يوم القيامة».

وكذلك ما أورده الإمام مسلم في «صحيحه»، عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني، عن أبيه: أنه غزا مع الرسول ﷺ فتح مكة فقال: «يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرمّ ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيئاً؛ فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً».

وفي رواية لمسلم: وله ألفاظ.

الحمر الأهلية زمن خيبر» هذه رواية الإمام البخاري في صحيحه برقم (٥١١٥) تحت باب «نهي النبي ﷺ عن المتعة».

ثالثاً: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أكد تحريمها أيام خلافته، بعد ما حرّمها رسول الله ﷺ (نسخها مرتين) وأقره على ذلك الصحابة الكرام، وما كانوا ليوافقوه لو كان على خطأ ـ خصوصاً ـ منهم علي ـ رضي الله عنه ـ الذي تقول الشيعة

والركن الحقيق للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط بشروط الإيجاب والقبول (أي شروط الإنعقاد) ولا يتحقق ذلك إلا بتوافر محددات معينة؛ لأن المقصود من الزواج دوام المعاشرة للتوالد، والمحافظة على النسل وتربية الأولاد، ولهذا حكم الفقهاء وجمهور العلماء على زواج المتعة والتحليل بالبطلان؛ لأن الأول مقصود به مجرد الاستمتاع الوقتي، ويقصد بالثاني تحليل الزوجة لزوجها الأول، فكلاهما حرام شرعاً.

والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي ـ رضي الله عنه ـ «أن رسول الله ﷺ «نهى عن متعة النساء، وعن لحوم

بعصمته عندهم[٢]؛ لأنهم يحلّون هذا الزواج.

رابعاً: نقل البيهقي عن جعفر بن محمد

أنه سئل عن المتعة؛ فقال: «هي الزنى بعينه».

ولكون القصد من زواج المتعة هو قضاء الشهوة فقط، ولا يقصد به التناسل ولا المحافظة على الأولاد، فهو يضر بالمرأة؛ لأنها ستصبح كالسلعة التي تنتقل من يد إلى يد، وإن كان فيه اتفاق أو عقد،إذ أن من توابعه المضرة بالأولاد، حيث لا يجدون البيت الذي يستقرون فيه، ولا الأب الذي يتعهدهم بالتربية والتأديب.

خامساً: وأما عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في إباحة المتعة بالنساء، فقد خاطبه سعيد بن جبير قال: هل تدري ما صنعت، وبم أفتيت؟ قد سارت بفتياك الركبان، وقالت: فيه الشعراء.

قال: وما قالوا؟

قلت: قالوا.

قد قلت للشيخ لما طال محبسه
يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس
هل لك في رخصة الأطراف آنسة
تكون مثواك حتى رجعة الناس!

فقال ابن عباس:

«إنا لله وإنا إليه راجعون... والله ما بهذا أفتيت، ولا هذا أردت» (انتهى).

هذا وقد ذهبت الشيعة الإمامية إلى جواز المتعة وأركانها عندهم: الصيغة، والزوجة، والمهر، والأجل.

ومن أحكامه الإخلال بذكر المهر، ويلحق الولد بوالده، ولا يقع طلاق بهذا الزواج ولا لعان، ولا يثبت به ميراث بين الزوجين، وأما الولد فإنه يرثهما ويرثاه، كما أقروا بانقضاء عدة الزوجة المتمتع بها بحيضتين، وإلا فبخمسة وأربعين يوماً لمن لا تحيض.

ولقد صح عن النبي ﷺ تحريم زواج المتعة تحريماً مؤبداً، ولكوننا متعبدون بما بلغنا عن الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ فلا عبرة لمخالفة الشيعة في جوازه.

قال تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** (الحشر: ٧).

كما حفظ الجمهور من الصحابة حرمته حتى رووه لنا، ومن ذلك ما ذكره ابن عمر فيما أخرجه عنه ابن ماجه بإسناد صحيح: «والله لا أعلم أحداً تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة».

وفي هذا دليل على قياس المتعة بالزنا؛ لأن لهما نفس العقوبة الشرعية، كما هو واضح مما سبق ذكره.

كما أخرج الدارقطني وحسنه الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي هريرة فيما يرويه عن النبي ﷺ قال: «هَدَم المتعة الطلاقُ،

والعدة، والميراث».

وأما ما يُقال من أن تحليل المتعة مجمع عليه، والمجمع عليه (قطعي) وتحريمها مختلف فيها، والمختلف فيه (ظني)، والظني لا ينسخ القطعي؛ فيجاب عنه بما يلي:

أولاً: بمنع هذه الدعوى، وهو كون القطعي لا ينسخه الظني، فما الدليل على ذلك؟

وثانياً: بأن النسخ بذلك الظني، إنما هو لاستمرار الحِل، والاستمرار ظني لا قطعي، وبهذا تنقطع دعوى تحليل المتعة من عدة وجوه.

ولا يعُتد بقراءة ابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مُسمى»، فإنها ليست بقرآن عند مشترطي التواتر[٣] في الرواية، ولا سنة لأجل روايتها قرآناً، وليس ذلك بحجة.

وأما عند من لم يشترط التواتر فلا مانع من نسخ ظني القرآن بظني السنة، كما تقرر في الأصول.

وبقي لنا في آخر الأمر أن نذكر ما أورده الحر العاملي من الشيعة في كتابه «وسائل الشيعة» (ج٧ / ٤٤١)، فعندهم أن من لم يتمتع فليس من شعيتهم.

ومن أدلتهم المزعومة على ذلك:

سُئل الصادق عن المتعة فقال: حلال عن كتاب «من لا يحضره الفقيه» (ج ٢٩٨) وقال: «ما من رجل تمتع. ثم اغتسل إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه سبعين ملكاً يستغفرون له إلى يوم القيامة، ويلعنون مجتنبها ـــ يعني المتعة ـــ إلى أن تقوم الساعة)[٤] عن كتاب الحر العاملي «وسائل الشيعة» (٧ / ٤٤٤).

وهنا أتسائل عن مثل هذا الفضل الذي يزعمونه في المتعة (المحرمة) بثابت السُّنة، وعمل الصحابة، وإقرار أئمة المذاهب، والجمهور، على ذلك إلى يوم القيامة؟

أهي دعوة باطنية إلى الإباحة والانحلال بطريق الحيلة الشرعية؟

ومن أدلة الشيعة أيضاً على إباحة زواج المتعة ما أوردوه عن أبي عبدالله: «لا بأس بالرجل يتمتع بالأختين»، وعنه «يمكن التمتع بألف من المستأجرات»، وقد جوزها بدون شهود.

عن كتاب «وسائل الشيعة» (٧ / ٤٧٩) وما بعده.

وقال ابن بابويه: «إن المؤمن لا يكمل إيمانه حتى يتمتع، وللمتمتع ثواب لا يحصيه إلا الله عن كتاب «من لا يحضره الفقيه» (ج ٣ / ٢٩١)).

وعندهم أن المتعة أفضل من الحج حتى لو كان مع فاجرة أو بغي.

هذا هو موقف الشيعة من زواج المتعة، وما أوردوه من فضل في مزاياه لا يقل عنه فضلاً عن إباحتهم اتيان المرأة في دبرها متى شاء، فقد قال حكيمهم صاحب كتاب «العروة الوثقى» (١٤ / ٦١)): «لا فرق في الدخول الموجب للإفضاء بين أن يكون في القبل أو في الدبر».

وعن أبي عبدالله أنه سُئل عن الرجل يأتي المرأة في دبرها، قال: «لا بأس؛ إذا رضيت».

وسُئل أيضاً عن الرجل يأتي أهله من خلفها، قال: «هو أحد المأتيين، فيه الغسل، وإذا أتى الرجل المرأة في دبرها فلم يُنزلا فلا غُسل عليهما، وإذا أتاها وهي صائمة؛ فإن ذلك لا ينقض صومها، وليس عليها غُسل».

عن كتاب «وسائل الشيعة» (٧/ ١٠٣)).

وأخيراً؛ فإن الذين يعتقدون بإباحة هذه الفواحش والموبقات لهُم أشد حرباً على الإسلام من أعدائه، فقد ضلوا ـ والله ـ وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل.

والحق والعدل يستوجبان اتباع كتاب الله عز وجل ـ وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بفهم وعلم وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، والذي يشذ عنهما فإلى عذاب الله وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿**فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصبهم فتنة أو يصبهم عذاب أليم**﴾ (النور: ٦٣).

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

* الحواشي:

(١) وهذا من غلوهم المذموم بآل البيت، فالعصمة لا تكون إلا للأنبياء فقط.

(٢) لم تختلف العلماء قديماً وحديثاً في اشتراط التواتر في صحة القراءة وقبولها، وهذا محل إجماع منهم.

(٣) وهذا الحديث المزعوم يدلك على كذب الشيعة وترويجهم للأحاديث المختلقة على الرسول صلى الله عليه وسلم تأييداً لمذهبهم الفاسد.

بقلم الشيخ: أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان

أمالي نظام الملك

الحلقة الثالثة

إن الحمد، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فهذا هو المجلس الثاني من «أمالي نظام الملك»، وهو: أبو الحسن علي بن إسحاق الطوسي، وسبق أن نشرنا المجلس الأول في العدد (١٨) من (ص٥٧ ــ ٦٨)، واقتصرنا على متنه، وأدخل بعض إخواننا الحريصين ـ وفقهم اللّه لمرضاته ـ عليه بعض الهوامش، عند النظر في التجارب الأخيرة، على الرغم من تحقيقي لنصوصه، وإرفاقي لها مع المقال، إلا أن الأخ المشرف على العدد رأى إفراد التخريج في عدد آخر، وهذا ما حصل، فنشرت التخريجات في العدد (١٩) من (ص ٤١ ــ ٤٦).

ونتابع في هذا العدد نشر (المجلس الثاني) من هذه «الأمالي»، وفي العدد القادم إن شاء الله تعالى التخريجات والتعليقات، والله الهادي للصالحات، والموفق للخيرات.

المجلس الثاني

وقد أملاه في جامع المهدي يوم الجمعة لثمان خلون من صفر سنة ٤٨٠هـ

رواية أبي القاسم نصر بن نصر بن علي ابن يونس العكبري عنه.

رواية أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن البنا عنه.

رواية إسحاق ويعقوب ابني أبي بكر الطبري عنه سماعاً.

رواية أبي أحمد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري عنهما إجازة.

رواية أبي محمد عبدالله بن محمد بن محمد البشاوري عنه إجازة.

رواية أم هانىء مريم ابنة علي بن عبدالرحمن الهورسي عنه سماعاً.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿رب زدني علماً﴾.

- قرأت على الشيخة الصالحة الخيرة

المسندة الكاتبة المعمرة «أم هانىء» مريم ابنة الشيخ نور الدين علي بن القاضي عبدالرحمن بن عبدالمؤمن الهورسي والدها، بحق سماعها من العفيف أبي محمد عبدالله بن محمد بن سليمان البشاوري، من الشيخ رضي الدين أبي أحمد إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري ثم المكي إجازة، أنبأ السند العلامة إسحاق ويعقوب ابنا أبي بكر بن الطبري، وأبوه الحسن علي بن محمد الكور بن موهوب بن جامع، قالوا: ثنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن البناء سماعاً، أنبا أبو القاسم نصر بن نصر العكبري، قال الرضي الطبري: وأنبا عالياً أبو الحسن بن علي بن إسحاق «أملاه في جامع المهدي يوم الجمعة لثمان خلون من صفر سنة ثمانين وأربع مئة، قال:

١٣- أخبرنا أبو مسلم محمد بن علي ابن محمد الأديب بأصبهان: أنبأ أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان: ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة: ثنا حرملة ابن يحيى: ثنا عبدالله بن وهب: ثنا يونس، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبدالرحمن:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان». فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي! أيدُعي أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

هذا حديث صحيح متفق عليه من حديث الزهري عن حميد، وحديث ابن وهب، عن يونس، عن الزهري.

انفرد به مسلم؛ فرواه في (الزكاة) عن أبي الطاهر وحرملة عن ابن وهب عن يونس.

١٤- أخبرنا أبو عبدالله عبدالرحمن بن عبدالله المروزي أنبا منصور بن عبدالله بن خالد (الحافظ ــ قدم علينا مرو): ثنا علي بن عبدالرحمن الكوفي: ثنا أحمد بن حازم) الغفاري أنبأ إسماعيل بن أبان: ثنا أبو عبدالله ثنا ناصح المحلّمي[1]، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، قال: قالوا يا رسول اللّه: من يحمل رايتك... يوم القيامة؟ قال: «من عسى أن يحملَها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدُّنيا: علي بن أبي طالب».

١٥ - أخبرنا أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسُف بهمدان: أنبا أحمد بن

إبراهيم أبو العباس: حدثنا أحمد بن عرس: ثنا محمد بن عبدالغفار: أنبأ أبو الخطاب إياس بن محمد البصري وعمرو بن علي، قالا: ثنا أبو عتاب سهل بن حماد: ثنا المختار بن نافع أبو إسحاق التيمي: ثنا أبو حيان التيمي عن أبيه.

عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكر زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله.

رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً تركه الحقُّ وماله من صديق.

رحم الله عثمان تستحييه الملائكة.

رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار».

١٦ - أخبرنا أبو عبدالرحمن بن أبي بكر المذكر: ثنا أبو علي الخالدي: ثنا أبو بكر محمد بن يحيى بن أحمد الهمداني: ثنا زكريا بن يحيى الساجي: ثنا نصر بن علي: ثنا علي بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده، عن علي بن الحسين: عن أبيه.

عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال: «من أحبَّ هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة[٢]».

١٧ - أخبرنا أبو سهل محمد بن أحمد ابن عبدالله: أنبأ أبو الهيثم محمد بن مكي: ثنا محمد بن يوسف الفربري: ثنا محمد بن إسماعيل البخاري: ثنا يحيى بن بكير: ثنا الليث، عن (عقيل، عن)[٣] ابن شهاب[٤]: أخبرني أبو أمامة سهل بن حنيف.

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليَّ، وعليهم قُمُصٌ منها ما يبلغ الثَّديَ ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرض عليَّ عمر وعليه قميص يجره». فقالوا: ما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدِّين».

أخرجه مسلم في الفضائل عن منصور بن أبي مزاحم، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب.

١٨ - أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن حمدون: ثنا الحاكم عبدالجبار بن أحمد: ثنا عبدالله ابن جعفر: ثنا يونس بن حبيب: ثنا أبو داود الطيالسي: ثنا سكن بن المغيرة، عن الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عن عبدالرحمن بن خباب قال: سمعت رسول الله ﷺ وحض على جيش العسرة، فقام عثمان رضي الله عنه. فقال: مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض الثانية، فقال عثمان: مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض الثالثة، فقال: ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله.

قال: فرأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا، مرتين أو ثلاثاً».

١٩ - أخبرنا أبو الفتح نصر بن علي الحاكم: ثنا محمد بن أبي عمران التاجر: ثنا محمد بن يعقوب الشيباني: ثنا بكر بن سهل، قال: ثنا عبدالغني بن سعيد الثقفي: ثنا موسى بن عبدالرحمن الصنعاني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قالت عائشة: «أعطيتُ عشر خصال لم تعطهُنّ ذاتُ خمار قبلي، صررت لرسول الله قبل أن أصوَّر في رحم أمي، وتزوجني رسول الله ﷺ بكراً ولم يتزوج بكراً غيري. وكان ينزل على رسول الله ﷺ الوحي وهو بين سَحَري ونحري، ونزلت براءتي من السماء، وكنت أحبَّ الناس إليه، وكان أبي أحبَّ الرجال إليه، وخُيِّر رسول الله ﷺ وهو بين حاقنتي وذاقنتي، وتُوفي في يومي، ودُفن في بيتي صلوات الله عليه وسلم».

٢٠ - أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد ابن عمر كتابة: ثنا محمد بن عبدالرحمن ابن العباس: ثنا عبدالله بن محمد: ثنا محمد بن عباد: ثنا محمد بن طلحة التَّيميّ: ثنا عبدالرحمن بن سالم بن عبدالله بن عُويم بن ساعدة، عن أبيه.

عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحاباً فجعل منهم وزراءً وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً».

٢١ - أخبرنا أبو سعد عبدالكريم بن أحمد الطبري: ثنا أبو العباس أحمد بن محمد البصري: ثنا الحسن بن جعفر بن هلال الحميري[٥]: ثنا حمزة بن محمد الكاتب: أنبأ نعيم بن حمَّاد: ثنا عبدالرحيم ابن زيد عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عز وجل فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي؛ فأوحى الله إليَّ: يا محمد، إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى».

٢٢ - أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله ابن إبراهيم بن محمد: ثنا محمود بن عمر ابن جعفر بن إسحاق: ثنا أحمد بن محمد التميمي: ثنا محمد بن الحسن بن حبيب الهمذاني: ثنا أحمد بن عيسى العلوي: ثنا ابن أبي فُديك، عن هشام بن سعد، عن زيد ابن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله خلفائي».

قيل: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟

قال: «الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس».

٢٣ - أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي المروزي: ثنا الإمام أبو بكر القفال: ثنا الإمام أبو عبدالله المقري: ثنا أبو أحمد يعني المروزي: ثنا عبدالله بن جعفر بن خاقان: ثنا علي بن خشرم: ثنا عبدالله بن إدريس عن ليث بن أبي سُلَيم، أنه قال: بلغني أن عمر بن الخطاب عوتب في جهده نهاراً في أمور الناس، وفي اجتهاده ليلاً في أمور آخرته، فقال لهم: «إن أنا نمت نهاري ضاعت الرعية، وإن نمت ليلاً ضيعت نفسي، فكيف بالنوم معهما».

٢٤ - أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن: ثنا عبدالله بن محمد بن حمود: أنبا أبو بكر محمد بن أحمد: ثنا إبراهيم بن محمد: ثنا أبو الحسين أحمد بن عمرو بن محمد الزنبقي: حدثنا زكريا ابن يحيى: حدثنا الأصمعي عن العلاء بن الفضل بن أبي سوية، عن أبيه، قال: أخبرت أنهم لما قتلوا عثمان بن عفان فتَّشوا خزانته، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً ففتحوه، فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب في باطنها: عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، وأن الله لا يخلف الميعاد، عليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله. ووجدوا في ظاهرها متكوباً.

غني النفس يغني النفس حتى يكفَّها
وإن عفها حتى يضر بها الفقرُ
وما عُسْرة فاصْبرْ لها إن لقيتها
بكائنة إلا سيتبُعها يُسرُ
ومن لم يُقاسِ الدَّهرَ لم يعرف الأسى
وفي غِيرَ الأيامِ ما وعظ الدَّهرُ

آخر المجلس الثاني
وبتمامه تم الجزء.

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على أشرف خلقه: محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين
حسبنا الله ونعم الوكيل[٦].

* الحواشي:

(١) في المطبوع: «المحكمي»! وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في (أ) و (ب): «تستجيبه»!! وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصول.

(٤) في المطبوع: «أبي شهاب»!! وهوخطأ.

(٥) في المطبوع: «الحيري»! وهو خطأ.

(٦) يليه سماعات متعددة، أضربنا عن ذكره.

بقلم: الشيخ عبد المالك بن أحمد الجزائري

تعجيل الهزيمة لمخالفي الرسل

كما أنّ أتباع الرسل منصورون، فإن مخالفيهم مخذولون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... وجعل الذّل والصغار على من خالف أمري» رواه أحمد، وهو حسن.

وتفسيره ما قاله ابن تيمية: «والبدعةُ مقرونةٌ بالفُرْقة، كما أنْ السنّةَ مقرونةٌ بالجماعة؛ فيقال: أهل السنة والجماعة: كما يقال: أهل البدعة والفُرقة[1]».

وقد أجمع العقلاء على أن أعظم أسباب الهزيمة هو التنازع، وأشده ـ ولا شك ـ التنازع في الدين، ولما كان التنازع ناشئاً عن التقصير في طاعة الله ورسوله قرن الله بينهما في آية واحدة، فقال: ﴿وأطيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ولما كان الالتزام بالسنة هو سفينة النجاة في بحر الاختلاف، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزومها عند وقوعه فقال: «... وإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور» رواه أبو داود، والترمذي وابن ماجه، وغيرهم، وهو صحيح.

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ﴾، أي: جاءهم من الوحي ما يجمعهم، فلما تركوه اختلفوا. وهذا مبيَّن في سيرة اليهود والنصارى مع رسلهم؛ فالنصارى اتَّبعوا رهبانية ابتدعوها وتركوا بعض ما أُمروا به، فأَغْرَى الله بينهم العداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿ومِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ قال ابن تيمية: «فهذا نصٌّ في أنهم تركوا بعض ما أُمروا به؛ فكان تركه سبباً لوقوع العداوة والبغضاء المحرَّمَين»[2].

وكذلك اليهود تركوا بعض ما أُمروا به

كما قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، لكن تركهم له كان ناشئاً عن تقصيرهم المعروف بسبب كراهيتهم لماأنزل الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُم مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾[٣].

وقال ابن تيمية: «والخلاف الواقع في غير أهل الملل أكثر منه في أهل الملل، فكل من كان إلى متابعة الأنبياء أقرب كان الخلاف بينهم أقل؛ فالخلاف المنقول عن فلاسفة اليونان والهند وأمثالهم أمر لا يُحصيه إلا الله، وبعده الخلاف عن أعظم الملل ابتداعاً كالرافضة فينا، وبعد ذلك الخلاف الذي بين المعتزلة ونحوهم، وبعد ذلك خلاف الفرق المنتسبة إلى الجماعة، كالكلابية، والكرامية، والأشعرية، ونحوهم، وبعد ذلك اختلاف أهل الحديث، وهم أقل الطوائف اختلافاً في أصولهم، لأن ميراثهم من النبوة أعظم من ميراث غيرهم، فعصمهم حبل الله الذي اعتصموا به، فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾[٤].

ومن الدرر الغوالي لأبي المظفر السمعاني قوله: «ومما يدلُّ على أن أهل الحديث هم على الحق، إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الإقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجْرون فيها على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحدٌ، ونقلُهم واحدٌ، لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾.

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع رأيتهم متفرِّقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً؛ لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدِّع بعضهم بعضاً، بل يَرْتَقُون إلى التكفير؛ يكفِّر الابن أباه، والرجلُ أخاه، والجارُ جارَه، تراهم أبداً في تنازعٍ وتباغضٍ واختلاف، تنقضي أعمارُهم ولم تتَّفق كلماتُهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[٥].

والغرض من هذا كله بيان لحوق الهزيمة بمن خالف الرسول ﷺ وتعجيلها لهم، بسبب الاختلاف المضروب عليهم، وقد

فدفعتُ إليه كتاب رسول الله ﷺ، ثم أخذه فمزَّقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مزق ملكه»[٦]، وكتب كسرى

قال ابن تيمية: «والخلاف الواقع في غير أهل الملل أكثر منه في أهل الملل، فكل من كان إلى متابعة الأنبياء أقرب كان الخلاف بينهم أقل؛ فالخلاف المنقول عن فلاسفة اليونان والهند وأمثالهم أمر لا يُحصيه إلا الله، وبعده الخلاف عن أعظم الملل ابتداعاً كالرافضة فينا، وبعد ذلك الخلاف الذي بين المعتزلة ونحوهم، وبعد ذلك خلاف الفرق المنتسبة إلى الجماعة، كالكلاّبية، والكرّامية، والأشعرية، ونحوهم، وبعد ذلك اختلاف أهل الحديث، وهم أقل الطوائف اختلافاً في أصولهم، لأن ميراثهم من النبوة أعظم من ميراث غيرهم، فعصمهم حبل الله الذي اعتصموا به، فقال: ﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾».

روى ابن سعد، والبيهقي، وأحمد، وغيرهم، بأسانيد عن جمع من الصحابة ــ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ــ قالوا: وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة السهمي، وهو أحد الستة، إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتاباً، قال عبدالله:

إلى باذان عامله على اليمن: أن ابعث من عندك رجلين جلدين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فلْيَأتياني بخبره، فبعث باذان قهرمان ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدما المدينة، فدفعا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى

الإسلام وفرائصهما ترتعد وفي رواية: فلما رأى شَواربهما مفتولة وخدودهما محلوقة، أشاح عنهما، وقال: «وَيْحَكُما مَن أمركما بهذا» قالا: أمَرنا ربنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال النبي ﷺ: «ولكني أمرني ربي أن أعفيَ لحيتي، وأن أحفي شاربي»، وقال: «ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد»، فجاءاه من الغد فقال لهما: «أبْلِغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة» فوجدوه كما قال[٧].

وفي هذه القصة أن النبي ﷺ علم هلاك كسرى لَمّا تجرأ على رسالته، ولم يراع له حرمته؛ لأن الله قضى بقطع دابر شانئ رسوله وتعجيل بتره؛ فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. ومن حسن الموافقة أن قاتل كسرى ابنُه؛ كما ذكر ذلك الحافظ في «الفتح»[٨]، وهو من تمام الإعجاز في إلقاء العداوة بين أفراد الأمة الواحدة، كيف وهي عداوة أهل بيت واحد؟ تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

وقارن قصة كسرى هذه بقصة قيصر التي رواها البخاري وغيره، وفيها قول قيصر لأبي سفيان في رسول الله ﷺ: «... فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين، وقد كنتُ أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخْلص إليه لتَجَشَّمْتُ لقاءه، ولو كنتُ عنده لغسلتُ عن قَدمه ...».

قال ابن تيمية: «وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، وكلاهما لم يُسْلم، لكن قيصر أكرمَ كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله، فثبتَ ملكهُ، فيقال: إن المُلْك باقٍ في ذريته إلى اليوم، وكسرى مزَّق كتاب رسول الله ﷺ واستهزأ برسول الله ﷺ، فقتله الله بعد قليل، ومزَّق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك، وهذا ـ والله أعلم ـ تحقيق لقوله تعالى: ﴿أَنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فكلُّ مَن شَنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره.

وقد قيل: إنها نزلت في العاص بن وائل أو في عقبة بن أبي معيط أو في كعب بن الأشرف، وقد رأيت صنيع الله بهم، ومن الكلام السائر: (لحوم العلماء مسمومة)، فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام.....؟!»[٩].

قلت: تأمل قوله: «أن المُلْك باقٍ في ذريته إلى اليوم»، مع قول هرقل بعد قراءته كتاب رسول الله ﷺ في الرواية السابقة: «يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت مُلْكُكُم فتُبايعوا هذا النبي؟».

وقال ابن تيمية: «ونظير هذا ما حدّثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة، عما جرَّبوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصرَ المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس، إذ تعرَّض أهله لسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه فعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنّا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيها، كما حدّثني بعض الأصحاب الثقات: أنّ المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنّة الله أن يعذّب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين»[١٠].

وقال ابن تيمية: «سورة الكوثر: ما أجلّها من سورة! وأغزر فوائدها على اختصارها! وحقيقة معناها تُعْلم من آخرها، فإنه سبحانه وتعالى بَتَر شانىء رسوله من كل خير، فيَبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة، ويبتر حياته فلا ينتفع بها، ولا يتزودّ فيها صالحاً لمعاده، ويبتر قلبه فلا يعي الخير، ولا يؤهِّله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصراً ولا عوناً، ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة؛ فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة، وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها، وهذا جزاء من شنَأ بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وردَّه لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره، كمن شنأ آيات الصفات وأحاديث الصفات، وتأوَّلها على غير مراد الله ورسوله منها، أو حملها على ما يوافق مذهبه ومذهب طائفته، أو تمنَّى ألا تكون آيات الصفات أنزلت، ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم... ومن أقوى علامات شناءته لها وكراهته، أنه إذا سمعها حين يَستدل بها أهلُ السنة على ما دلت عليه من الحق اشمأز من ذلك، وحاد ونفر من ذلك، لما في قلبه من البغض لها والنفرة عنها، فأي شانىء للرسول أعظم من هذا.

وكذا من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة، فلولا أنه شانىء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه، ويشتغل بقول فلان وفلان...

فالحذرَ الحذرَ! أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ أو تردّه لأجل هواك، أو انتصاراً لمذهبك أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا؛ فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والأخذ بما جاء به، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله الله عن مخالفة أحد، فإن من يطيع أو يطاع إنما يطاع تبعاً للرسول، وإلاّ لو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع. فاعلم ذلك واسمع وأطع، واتبع ولا تبتدع، تكن أبتر مردوداً عليك عملك، بل لا خير في عمل أبتر من الاتّباع، ولا خير في عامله، والله أعلم»[11].

* الحواشي:

(١) «الاستقامة» (١ / ٤٢) وانظر إن شئت «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم ص (٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٠ / ١٠٩).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» أيضاً (٣١ / ٢٢٧).

(٤) «منهاج السنة» (٦ / ٣١١).

(٥) من «الحجة» لقوّام السنة (٢ / ٢٢٥).

(٦) إلى هنا رواية البخاري في «صحيحه»، لكن زيادة هذا الدعاء هي عنده مرسلة.

(٧) انظر «الصحيحة» للألباني (١٤٢٩)، وتخريجه على «فقه السيرة» للغزالي (٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٨) (٧ / ٧٣٣ ـ ٧٣٤).

(٩) «الصارم المسلول» ص (١٦٤ ـ ١٦٥)، وانظر «الفتح» لابن حجر (١ / ٤٤).

(١٠) المصدر السابق ص (١١٧).

(١١) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٥٢٦ ـ ٥٢٩).

* * *

قال تعالى: والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبلَنا وإنَّ الله لَمع المحسنين (العنكبوت: ٦٩).

قال العلاقة السعدي ـ رحمه الله ـ في «تيسير الكريم الرحمن» ص٥٨٦: «فإنَّ طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعي الجهاد، الذي لا يقوم به إلاّ خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان، للكفار والمنافقين والجهاد على تعليم أمور الدين وعلى رد نزاع المخالفين للحق، ولو كانوا من المسلمين».

بقلم الشيخ: عثمان معلم الصومالي

بعض الضوابط في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الدين، وبه تحيا الشريعة وتبقى على مر الدهور.

وقد فصّل العلماء أحكامه وألّفوا فيه مؤلفات عديدة.

وقد أدّى عدم الفقه في هذا الباب إلى ويلات وشرور.

كما أدّى عدم التبصرّ في أحكام الجهاد إلى التهوّر والاندفاع غير الموزون.

إذ أن أغلب الشباب يقتصرون على سماع فضائل هذين المقصدين دون التفقه فيهما.

والذين يؤخذ منهم هذا العلم هم العلماء المحققّون أصحاب المنهج السلفي.

والأحاديث يفسّر بعضها بعضاً؛ إذ أنَّ معدنها واحد، فرسولنا ﷺ الذي حثّ على إنكار المنكر هو الذي أبدى وأعاد في النهي عن قتال الأمراء والقتال في الفتنة..

وإنكار المنكر باليد ليس مرادفاً للقتال، كما يتبادر إلى أذهان بعض الناس، بل يُتصور فيما دون، فطمسك للصور والتماثيل ونقض كل صليب وإراقة الخمور وتفريقك بين المتضاربين كل ذلك إنكار باليد، ويشترط فيه الشرط العامّ، وهو: ألاّ تؤدي إزالتك لهذا المنكر بهذا الوجه إلى منكر أكبر منه، وإلاّ يكون حراماً.

قال الحافظ أبو بكر الخلال الجامع لعلوم الإمام أحمد: «أنا أبو بكر المروزي،» قال: قلت لأبي عبدالله (يعني الإمام أحمد): كيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: باليد واللسان وبالقلب وهو أضعف الإيمان، قلت: كيف باليد؟ قال: نفرّق بينهم[٧].

قال: وحفظت على أبي بكر المروزي أنه قال: كنت مع أبي عبدالله في طريق فرأى صبياناً يقتتلون، فعدل إليهم؛ ففرّق بينهم.

وأخبرني محمد بن علي قال: حدثنا صالح أن أباه (يعني الإمام أحمد) قال:

«التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح»[٢].

وقال البربهاري: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب بلا سيف»[٣].

وقال إمام الحرمين: «ويسوغ لآحاد الرعيّة أن يصدّ مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله، ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح، فإن انتهى الأمر إلى ذلك ربط الأمر بالسلطان»[٤].

والجُزيء الواحد من الأمة لا يختلف عن آحاد الرعية في الحقيقة.

وقد ذكر الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» مسائل نفيسة تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كانت عمدة لمن كتب بعده، ويحسن الرجوع إليها لمن أراد المزيد.

وذكر عدّة فروق بين المحتسب[٥] والمتطوع[٦] منها:

أن للمحتسب «أن يتخذ على إنكاره أعواناً؛ لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب؛ ليكون له أقهر وعليه أقدر، وليس للمتطوّع أن يندب لذلك أعواناً.

وأن له أن يعزِّر في المنكرات الظاهرة، لا يتجاوز إلى الحدود، وليس للمتطوّع أن يعزِّر على منكر»[٧].

ولم يفهم أحد من العلماء المعتبرين من أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً من الإنكار باليد ترويع المسلمين وشن الغارات عليهم أو خوض المعارك بجنب بعض القبائل.

وقد ثبت لدينا بما يثبت به النقل أن بعض هؤلاء الشباب كانوا يقومون بقتل الأسارى والإجهاز على الجرحى في بعض المعارك التي حصلت بينهم وبين بعض القبائل مع ترديد الأسير لكلمة التوحيد.

فأين هؤلاء مما ثبت في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد أنه قال: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبّحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلاً؛ فقال: لا إله إلا الله، فطعنته. فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت على قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها عليّ حتى تمنّيت أني أسلمت يومئذ.

قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة. قال: قال رجل: ألم يقل الله تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾؟ فقال

سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة[٨]».

وفي حديث جندب: «فقال: لم قتلته؟ فقال: يا رسول اللّه أوجع في المسلمين فقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً، وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فقال: يا رسول الله استغفر لي، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»[٩].

هذا، ومن أحسن من تكلّم في ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وله نصوص كثيرة في هذا نجتزىء منها بما يلي:

قال الشيخ: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية، كما دل عليه القرآن، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضاً كذلك، فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته؛ إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته؛ كما قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١٠].

وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد، هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به؛ ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف معروفاً ونهيك عن المنكر غير منكر.

وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد؛ بل كل ما أمر به فهو صلاح.

وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم المفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد تُرك واجب وفُعل محرم؛ إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من

الواجبات لم يضره ضلال الضلال.

وذلك يكون تارة بالقلب، وتاة باللسان، وتارة باليد.

فأما القلب فيجب بكل حال؛ إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: «وذلك أدنى ـ أو ـ أضعف الإيمان»، وقال: «ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وقيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. وهذا هو المفتون الموصوف في حديث حذيفة بن اليمان.

وهنا يغلط فريقان من الناس:

فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية؛ كما قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في خطبته: إنكم تقرأون هذه الآية ﴿**عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

والفريق الثاني: من يريد أن يأمر وينهى، إما بلسانه، وإما بيده مطلقاً؛ من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنياً مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يدان لك به، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام فإنَّ من ورائك أياماً الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»[11].

أما من جهة النوع؛ فيؤمر بالمعروف مطلقاً وينهى عن المنكر مطلقاً. وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها؛ بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه، او فوات أرجح منه.

فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو معتد في حدوده، كما انتصب كثير من أهل البدع والأهواء؛ كالخوارج والمعتزلة والرافضة؛ وغيرهم ممن غلط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد على ذلك، وكان فساده أعظم من صلاحه؛ ولهذا

أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة؛ ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة، وقال: «أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم».

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة؛ لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة.

وأما أهل الأهواء. كالمعتزلة. فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم، ويجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة: «التوحيد» الذي هو سلب الصفات؛ و«العدل» الذي هو التكذيب بالقدر؛ و«المنزلة بين المنزلتين»، و«انفاذ الوعيد» و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» الذي منه قتال الأئمة.

والكلام على قتال الأئمة داخل في «القاعدة العامة»: فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها؛ فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به؛ بل يكون محرّماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته؛ لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلَّ أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالتها على الأحكام.

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعاً؛ أو يتركوهما جميعاً: لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر؛ بل ينظر فإن كان المعروف أكثر أمر به؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نهي عنه؛ وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف؛ ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمراً بمنكر، وسعياً في معصية الله ورسوله. وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما.

فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كان المعروف والمنكر متلازمين؛ وذلك في الأمور المعينة الواقعة.

وأما من جهة النوع؛ فيؤمر بالمعروف مطلقاً وينهى عن المنكر مطلقاً. وفي الفاعل

الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها؛ بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه، أو فوات أرجح منه.

وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية؛ وإذا تركها كان عاصياً، فترك الأمر الواجب معصية؛ وفعل ما نهي عنه من الأمر معصية. وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن هذا الباب. إقرار النبي ﷺ لعبدالله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه، ولهذا لما خاطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه: حمي له سعد بن عبادة مع حسن إيمانه.

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر وإرادته، وكراهته لهذا: موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشرعيين. وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته؛ فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد قال: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان.

وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته: فإنه يعطي ثواب الفاعل الكامل، فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها[١٢].

قال ابن القيم:

«إن النبي ﷺ شرع لأمته لإيجاب إنكار المنكر ليخص بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله؛ فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر.

وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «لا، ما

أقاموا الصلاة» وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعته».

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار الإسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك ـ مع قدرته عليه ـ خشية وقوع ما هو أعظم منه، من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء.

فإنكار المنكر أربع درجات، الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة [١٢]. ذكر ذلك ابن القيم في معرض سرده أمثلة لسدّ الذرائع.

والله ـ تعالى ـ وحده الهادي إلى سواء السبيل.

* الحواشي:

(١) لعله يقصد التفريق بين من يفعل المنكر وبين فعله المنكر.

(٢) كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال (ص٢٣ ـ ٣٣) طبع المكتب الإسلامي تحقيق مشهور حسن محمود سلمان وهشام بن إسماعيل السقا.

(٣) «شرح السنة» للبربهاري (ص٥٠).

(٤) انظر «شرح صحيح مسلم» للنووي (١ / ٣٤٢) بهامش «إرشاد الساري».

(٥) هو من نصبته الدولة الإسلامية لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٦) هو الذي يقوم بذلك من تلقاء نفسه ولم تعيّنه دولة لذلك.

(٧) كتاب «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» للماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ) (ص ٣١٥) مكتبة دار ابن قتيبة . الكويت تحقيق أحمد مبارك البغدادي.

(٨) «صحيح مسلم» بشرح النووي (١ / ٤٣٦ ـ ٤٣٧).

(٩) «صحيح مسلم» بشرح النووي (١ ٤٣٩).

(١٠) أخرجه مسلم.

(١١)... وزاد غيره قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم. انظر «سنن أبي داوود» (رقم ٤٣٤١) والترمذي (رقم ٣٠٥٨) وابن ماجه ٤٠١٤).

(١٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨ / ١٢٦ ـ ١٣١).

(١٣) «إعلام الموقعين» (٣ /٤).

* * *

بقلم الشيخ: علي بن حسن الحلبي الأثري

أسماء المؤلفات والتحقيقات المطبوعة والمخطوطة للشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني / الحلقة الثانية /

١٠٨ ـــ «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الأمة» ـ تأليف، خمسة مجلّدات، والسادس تحت الطبع، ويوجد مخطوطاً إلى المجلد الرابع عشر).

١٠٩ ـ «شرح «العقيدة الطحاوية»» / لابن أبي العز الحنفي ـــ تخريج.

١١٠ ـــ «الشهاب الثاقب في ذمّ الخليل والصّاحب» / للسيوطي ـــ تخريج.

١١١ ـ «صحيح ابن خزيمة» ـ تخريج ومراجعة أربعة مجلّدات).

١١٢ ـ «صحيح الأدب المفرد» / للبخاري ـــ تأليف.

١١٣ ـ «صحيح الإسراء والمعراج» ـ تأليف. خ/رقم: ٤٢).

١١٤ ـــ «صحيح» «الترغيب والترهيب»» ثلاثة مجلّدات، وهو تحت الطبع كاملاً) ـــ تأليف.

١١٥ ـ «صحيح «الجامع الصغير» و«زيادته»» (ثلاثة مجلّدات) ـــ تأليف.

١١٦ ـ «صحيح «سنن ابن ماجه»» ـ تأليف (مجلدّان).

١١٧ ـــ «صحيح «سنن أبي داود» (مع التخريج)» ـــ تأليف. (ج).

١١٨ ـ «صحيح «سنن أبي داود»» ـ تأليف ثلاثة مجلّدات).

١١٩ ـ «صحيح «سنن الترمذي»» ـ تأليف ثلاثة مجلّدات).

١٢٠ ـــ «صحيح «سنن النسائي»» ـ تأليف (ثلاثة مجلّدات).

١٢١ ـ «صحيح السيرة النبوية ـ تأليف (لم يتم). (خ/رقم: ١).

١٢٢ـ «صحيح «كشف الأستار عن زوائد البزّار»» / للهيثمي ـــ (خ).

١٢٣ ـ «صحيح «الكلم الطيب»». تأليف.

١٢٤ ـ «صحيح «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان»» ـــ تأليف (مجلّدان. تحت الطبع).

١٢٥ ـ «الصراط المستقيم فيما قرره الثقات الأثبات في ليلة النصف من شعبان» / لعلماء الأزهر ـــ تخريج.

١٢٦ ـــ «صفة صلاة النبيّ ﷺ» الأصل) أو (التخريج) ـــ تأليف. (خ).

١٢٧ ـــ «صفة صلاة النبيّ ﷺ» ـــ تأليف.

١٢٨ ـ «صفة الفتوى والمفتي والمستفتي» ـــ

لابن حمدان ـــ تخريج وتعليق.

١٢٩ ـ «صلاة الاستسقاء» ـــ (خ ـــ رقم: ١٣).

١٣٠ ـــ «صلاة التراويح» ـــ تأليف.

١٣١ ـــ «صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السُّنة» ـــ تأليف.

١٣٢ ـ «صلاة الكسوف، وما رأى صلى الله عليه وسلم فيها من الآيات» ـ (خ / رقم: ٩٢).

١٣٣ ـ «صوت الطبيعة يُنادي بعظمة الله» / لعبد الفتّاح الإمام ـــ تخريج.

١٣٤ ـ «صوت العوب يسأل وناصر الدين يجيب» ـــ مقابلة.

١٣٥ ـــ «صوت صيد الخاطر» / لابن الجوزي ـ تخريج؛ وكان من الذاكرة ـ كما وَرَدَ في مقدّمته[١].

١٣٦ ـــ «ضعيف «الأدب المفرد»» / للبخاري ـــ تأليف.

١٣٧ ـــ ««ضعيف» «الترغيب والترهيب»» (مجلّدان ـــ تحت الطبع كاملاً) ـــ تأليف.

١٣٨ ـــ «ضعيف «الجامع الصغير» و«زيادته»» ـــ تأليف (ثلاثة مجلّدات).

١٣٩ ـ «ضعيف «سنن ابن ماجه»» ـ تأليف.

١٤٠ ـــ «ضعيف «سنن أبي داود»» (مع التخريج) ـــ تأليف. (خ).

١٤١ ـ «ضعيف «سنن أبي داود»» ـ تأليف.

١٤٢ ـ «ضعيف «سنن الترمذي»» ـ تأليف.

١٤٣ ـ «ضعيف «كشف الأستار عن زوائد البزّار»» / للهيثمي ـــ (خ).

١٤٥ ـــ «ضعيف «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان»» ـــ تأليف (تحت الطبع).

١٤٦ ـ «ظلال الجنّة في تخريج «السنة»» / لابن أبي عاصم ـــ تأليف.

١٤٧ ـ «العقيدة الطحاوية»؛ شرح وتعليق ـــ تأليف.

١٤٨ ـــ «العِلْم» / لأبي خيثمة ـــ تحقيق وتعليق وتخريج.

١٤٩ ـ «عودة إلى السّنة»[٢] ـ تأليف. (خ / رقم: ٥ ـ ١).

١٥٠ ـــ «غاية الآمال بتضعيف حديث عوض الأعمال، والرد على الغُماري بصحيح المقال» ـــ تأليف. (خ).

١٥١ ـــ «غاية المرام في تخريج أحاديث «الحلال والحرام»» / للقرضاوي ـــ تأليف.

١٥٢ ـــ «فتنة التكفير» فتوى (وهي مُضَمَّنَةٌ) في كتاب «التحذير من فتنة التكفير» لـ (علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد).

١٥٣ ـــ «فتوى حكم تتبعُّ آثار الأنبياء والصالحين» ـــ تأليف (مطبوعة ضمن كتاب «جزيرة فَيْلكا، وخرافة أثر الخضر فيها» للحُصَيِّن).

١٥٤ ـــ «فَضْل الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم» / لإسماعيل بن إسحاق القاضي ـ تحقيق وتخريج.

١٥٥ ـــ «فقه السيرة» / للغزالي[٣] ـــ تخريج.

١٥٦ ـــ «فهرس أحاديث كتاب «التاريخ الكبير»» / للبخاريّ ـــ إعداد. (خ)[٤].

١٥٧ ـــ «فهرس أحاديث كتاب

«الشريعة»» / للآجري ـــ إعداد. (خ).

١٥٨ ـــ «فهرس أسماء الصحابة الذين أسندوا الأحاديث في «معجم الطبراني الأوسط»» ـــ إعداد. (خ).

١٥٩ ـــ «الفهرس الشامل لأحاديث وآثار كتاب «الكامل»»/ لابن عدي ـ إعداد ـــ (خ).

١٦٠ ـ «فهرس الصحابة الرواة في «مسند الإمام أحمد بن حنبل»» ـــ إعداد.

١٦١ ـــ «فهرس كتاب «الكواكب الدراري» لابن عُروة الحنبليِّ، وأسماء الكُتبُ المودعة فيه» ـــ إعداد. (خ).

١٦٢ ـــ «فهرس المخطوطات الحديثية في مكتبة الأوقاف الحلبية» ـــ إعداد ـــ (خ).

١٦٣ ـــ «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية؛ المنتخب من مخطوطات الحديث» ـــ إعداد.

١٦٤ ـ «الفهرس المنتخب من مكتبة خزانة ابن يوسف ـــ مراكش» ـــ إعداد ـــ (خ)

١٦٥ ـــ «القائد إلى تصحيح العقائد» / للمعلّمي ـــ تعليق.

١٦٦ ـ «قاموس البدع» ـ تأليف. (خ / رقم: ٦٥).

١٦٧ ـ «قاموس الصناعات الشامية» / لمحمد سعيد القاسمي ـــ تخريج / مشاركة.

١٦٨ ـ «قصة المسيح الدجال ونزول عيسى ـــ عليه السلام ـــ، وقتله إياه في آخر الزمان» ـ تأليف. (خ).

١٦٩ ـــ «قيام رمضان» ـــ، تأليف.

١٧٠ ـــ «كشف النقاب عما في «كلمات» أبي غُدة من الأباطيل والافتراءات» ـ تأليف.

١٧١ ـ «الكلم الطيب» / لابن تيمية ـ تحقيق وتخريج.

١٧٢ ـ «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» / لابن رجب ـــ تخريج.

١٧٣ ـــ «كيف يجب أن نُفسر القرآن؟» ـــ تأليف. (خ / رقم: ٦٠).

١٧٤ ـــ «اللحية في نظر الدين» ـــ تأليف.

١٧٥ ـ «لفتة الكبد في تربية الولد»/ لابن الجوزي ـــ تحقيق وتخريج/مشاركة.

١٧٦ ـ «ما دلّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان» / للآلوسي ـ تخريج.

١٧٧ ـــ «مجموع فتاوى الشيخ الألباني»[٥] ـ تحت الطبع منها مجلدان، ويقدر أن تقع في نحو ثلاثين مجلدا ـــ تقريبًا.

١٧٨ ـــ «المحو والإثبات الذي يدعى به في ليلة النصف من شعبان[٦]» ـــ تأليف. (خ / رقم: ٣٩).

١٧٩ ـــ «مختصر «تحفة المودود»» / لابن القيم ـــ اختصار وتخريج. (خ).

١٨٠ ـــ «مختصر تعليق الشيخ محمد كنعان»[٧] ـــ (خ).

١٨١ ـــ «مختصر «التوسل»» ـ تأليف. (خ / رقم: ٢٣).

١٨٢ ـــ «مختصر «شرح العقيدة الطحاوية»»[٨] ـــ (خ).

١٨٣ ـــ «مختصر «الشمائل المحمدية»» / للترمذي ـــ اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

١٨٤ ـ «مختصر «صحيح البخاري»» ـ تأليف

. أربعة مجلدّات؛ طبع الأول والثاني، والباقي ـــ اثنان ـــ تحت الطبع.

١٨٥ ـ «مختصر «صحيح مسلم»» ـ تأليف مفقود).

١٨٦ ـــ «مختصر «صحيح مسلم»» / للمنذري ـــ تحقيق وتعليق.

١٨٧ ـ «مختصر «العلو للعلي العظيم[٩]»» للذهبي ـــ اختصار وتحقيق وتعليق وتخريج.

١٨٨ ـ «مذكرات الرحلة إلى مصر» ـ تأليف. (خ).

١٨٩ ـ «مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شَيبة» ـــ تحقيق وتعليق. (خ / رقم: ٢٥).

١٩١ ـــ «مسائل غلام الخلال التي خالف فيها الخرقي» ـــ تعليق.

١٩٢ ـــ «مساجلة علمية بين العز بن عبدالسلام وابن الصلاح». تحقيق وتعليق.

١٩٣ ـ «مساوىء الأخلاق» / للخرائطي ـــ تحقيق وتخريج ـــ (خ).

١٩٤ ـــ «المستدرك على «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث»» ـــ تأليف ـــ (خ).

١٩٥ ـ «المسح على الجوربين» / للقاسمي ـــ تحقيق وتخريج.

١٩٦ ـــ «مشكاة المصابيح» / للتبريزي ـ تحقيق (ثلاثة مجلدات).

١٩٧ ـــ «المصطلحات الأربعة» / للمودودي ـــ تخريج.

١٩٨ ـــ «مع الأستاذ الطنطاوي» ـ تأليف ـــ (خ)[١٠].

١٩٩ ـــ «معالم التنزيل» / للبغوي ـــ تخريج ـــ (خ).

٢٠٠ ـــ «معجم الحديث النبوي» ـــ تأليف أربعون مجلدا)[١١]. (خ).

٢٠١ ـــ «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» / للحافظ العراقي ـ تعليق وتخريج. خ).

٢٠٢ ـــ «مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف» ـــ. تأليف.

٢٠٣ ـــ «المناظرات والردود[١٢]» ـ تأليف. (خ / رقم: ١٨).

٢٠٤ ـ «المناظرة بين الشيخ الألباني والشيخ الزمزمي» / نسخها: عبدالصمد البقالي[١٣] ـــ (خ).

٢٠٥ ـــ «مناظرة كتابية مع طائفة من أتباع القاديانية» ـــ تأليف. (خ).

٢٠٦ ـ «مناقب الشام وأهله» / لابن تيمية ـــ تخريج.

٢٠٧ ـــ «منتخبات من فهرس المكتبة البريطانية» ـــ إعداد ـــ (خ).

٢٠٨ . «منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن» ـــ تأليف.

٢٠٩ ـــ «موارد السيوطي في «الجامع الصغير»» ـ تأليف ـــ (خ).

٢١٠ ـــ «نزهة النظر في توضيح «نخبة الفكر»» / لابن حجر ـ تعليق وتحقيق (لم يتمّ)، وهو مطبوعٌ ضمنَ كتاب «النكت على «نزهة النظر»» لـ (علي بن حسن بن عبدالحميد). خ).

٢١١ ـــ «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» ـــ تأليف.

٢١٢ ـ «النصيحة بالتحذير من تخريب ابن عبدالمنان لكتب الأئمة الرجيحة، ومن تضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة» ـ تأليف ـــ (تحت الطبع).

٢١٣ ـــ «نقد «التاج الجامع للأصول»» / لمنصور علي ناصف ـ تعليق وتخريج. (خ / رقم: ٢٠).

٢١٤ ـ «نقد «نصوص حديثية في الثقافة الإسلامية»» ـــ تأليف.

٢١٥ ـ «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والأحكام» ـــ تأليف.

٢١٦ ـ «وصف الرحلة الأولى إلى الحجاز والرياض مرشداً للجيش السعودي» ـ تأليف ـــ (خ/رقم: ٧).

٢١٧ ـــ «وضع الآصار في «ترتيب أحاديث» «مشكل الآثار»» ـــ إعداد. (خ).

٢١٨ ـ «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث «المصابيح» و«المشكاة» / لابن حجر ـ تخريج. تحت الطبع).

هذا آخر ما وفقني الله لمعرفته، أو الوقوف عليه؛ سائلاً الله ـ عز شأنه ـ المزيد من فضله.

* * *

* الحواشي:

(١) وقد رأيت في خزانة شيخنا ـ الخاصّة ـــ استدراكات وزيادات ـــ بخطّه ـــ على هذا التخريج ـــ برقم (٥٢) ـــ؛ فعسى أن يُهَيِّىء اللهُ إعدادَها، وإعادة طبعها مع الكتاب بصورة جيّدة.

(٢) وقد طُبع منه بعض مقالات في مجلّة (المسلمون) الدمشقية، قبل نحو أربعين سنةً.... انظر: «مع الأستاذ الطنطاوي» ـــ الآتي ـــ.

(٣) وقد حذف ـــ رحمه الله وغفر له ـــ مقدّمة شيخنا ـــ الموجودة في الطبعة الرابعة ـــ من الطبعات التالية لها؛ فحوم قرّاءة من مادّة علميّة قويّة؛ فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

(٤) وللشيخ ـــ حفظه الله ـــ من مثل هذه الفهارس كثيرٌ سواءٌ لكتب الحديث، أم كتب الرجال ـــ صنعها قديماً ليسهّل على نفسه البحث والمراجعة ـــ ولم أستطع استقصاءَها.

(٥) وأمّا كتاب «فتاوى الشيخ الألباني، ومقارنتها (!) بفتاوى العلماء» لابن عبدالمنان الآخر!)، وكتاب «الحاوي في فتاوى الشيخ الألباني» للمصري أبي همّام (!): فعليهما السلام!! وقد أنكرهما شيخنا شديداً.

(٦) ولها اسمٌ آخرُ، هو: «فتح الودود في الردّ على من زعم ثبوت لفظه: «أم الكتاب» في حديث مسعود»، وهي (خ/ رقم: ٦٦).

(٧) ذكره الأخ الشيباني (ص ٧٧)، ولم يتبيّن لي! ولم أعرفه!!

(٨) ذكره الأخُ الشيباني (ص٧٧)، ولا أعلمه! ولا أظنه إلا وهماً!

(٩) وهو مطبوعٌ باسم: «... للعلّي الفغار»؛ وهو خطأ من الطابع!

(١٠) ينظر: هل هو: «عودة إلى السنّة»؟!

(١١) ولتأليف هذا الكتاب قصةٌ عُرفت باسم الورقة الضائعة!) تُراجع في مقدمة شيخنا على كتابه «المنتخب من مخطوطات الحديث في المكتبة الظاهرية» (ص٤ ـــ ٩).

(١٢) مثل مناظراته مع المهدي ـــ المزعزم ـــ، وجميل لويس النّصراني، .... وغيرهما.

(١٣) وأمّا «المناظرة» المطبوعة بتحقيق (!) السقّاف (السخاف السفّاف): فإنها محرفة ومنقوصة!!!

* * *

بقلم الشيخ الأستاذ: محمد إبراهيم شقره

غربتان في غربة !

ليس من شيء أضر على الأمة في عقيدتها ودينها، من أن ينتابها فيهما ما لم يكن يخطر ببال القرون المفضلة الأولى أن يكون فيها من حوادث، فقد برئت منها قلوبها، وطهرت منها أرضها، وتناءت عنها أسبابها، وما هو إلا أن أدبرت تلك القرون، وألقت قرون من بعدها أثقالها، وحيل بينها وبين تلك القرون، حتى تسارعت الحوادث إليها، كأنما كانت موثوقة بعُقُل محكمة الفتل، فأفلتت منها، وانطلقت إلى أطراف الإسلام تنهشها نهش الضواري الساغبة، وابتلقت ما نهشه، لكنها ما استطاعت أن تمضغها ولا أن تهضمها، فبقيت على حالها، تنتظر من يخرجها، ليعيدها مرة أخرى إلى مواضعها، وإن كان كثير من الناس سوف ينكرونها، لأنهم ـ لطول العهد بها ـ قد نسوها، أو لأن جلهم قد ولدوا وهي في سبوت غيبتها، فلم يدروها ولا علموها.

ولما أن انتقصت حوادث القرون الخالفة شرائع الإسلام، وسننه، وعقيدته، وعدت عليه بالزيادات الآفكة المريبة، أضحى الإسلام غريباً في أهله، وصار الراجون صلاحاً لأنفسهم ولغيرهم ـ بما أوتوا من علم ـ إلى حال من الغربة ـ ربما كانت أشد من غربة الإسلام نفسه ـ إذ غربة الإسلام غربة معنوية، تذهب عنه باقبال الناس عليه ـ أما غربة أهله فهي غربة مدهوقة بالآلام النفسية المعنوية والحسية ـ فقد أطلق الناس أهواء قلوبهم، وجهالات عقولهم. وسموم أدوائهم من عقلها وأسنتها، ووقفوا من ورائها، يذبون عنها بسهام مشدودة إلى أوتار الحقد الأعجمي الموروث، وعن أيمانها وعن شمائلها، يدفعون في صدور المصلحين الراجين، بالسيوف الباغية بأشاج الجاهلية العتيقة، وأوضار الحضارة الحديثة، تشاكلت فتماشجت، وتماثلت فتداخلت، فصار الراجون المصلحون لا يجدون على حقهم أنصاراً، ولا على باطل الناس لتخليصهم منه أعواناً.

ولما أن وجدت هذه الحوادث أنصاراً لها

وأعواناً تمعرت وجوهها، وتسعرت أجوافها، وتمارت بالباطل الصارف عن الهدى تهاوكها، وامتلأت بها بطون الكتب، وانتفجت منها دور الطباعة والنشر، وتهادت بكبرياء الغرور في أردية الظلام، ومسخت منها عقول وأقلام وأناسي، وهجمت في شراسة فاتكة على العقيدة تمزقها وتبعثر أصولها، وتبدد أجزاءها، وتفوق أقسامها، وتشوه وجهها، وتأتي على آثارها.

وهمت بالفروع والأحكام، تطاردها أينما حلت، وتنتقص منها وتزيد عليها كما تسول لها الأهواء، وتزين للناس ما قبح الشرع، وتقبح لهم ما زين الشرع وتدفع بالنصوص العامة من بين يديها كأنما تدلل بها على صوابها، وتأخذ منها أخذاً عشوائياً، غير واضعة في حسبانها إلا أن تسوق الناس في شعاب الفرقة، وتقعدهم مقاعد الاختلاف، وتباعد بينهم وبين ما كتبت به السعادة للقرون التي أفضلها الله عليها بعافية الإيمان وصالح العمل.

وأعان على هذا الذي صنعته الحوادث في الأمة أن وجدت في بعض من منتسبة العلم مكاناً آمناً، ومستقراً حسناً، أوسعوا هم لأنفسهم في صدور العامة بحسن الهندام، وذلاقة اللسان، وجعل الدين كلِّه ـ وبخاصة عقائدة الصَّحيحة، وأصوله الثابتة ـ أمانيَّ سهلة رخيصة، وأنَّ من يأخذها عزائم لاتبديل فيها ولا تغيير، وإنما يشق على الناس، ويجعل عليهم حرجاً في دينهم، فنالوا في العامة من الحظوة ما أمَّلوا وزيادة، وصاروا على مدرجة الضميّة الناهبة، التي كانت في الأمم السابقة، عبثاً، وسخرية، وابتذالاً، لا يريدون من وراء ذلك إلا تحصيل ما في أيديهم، ونهب ما عندهم، والهيمنة على عقولهم وأرواحهم، هيمنة انتفت بها عنهم إراداتهم، وصاروا إلى حال من الاضمحلال والهوان لا يعرف إلا عند العجماوات المدجَّنة.

ولقد علمت الجنَّة والناس أجمعون: أن إصابة الحق شيء عزيز المنال على سواد الأمة، وإن كانت طوائف قليلة في الأمة أصابت منه ما أصاب أهل قرون الخير الأولى، ونسجوا على منوالهم، وكانوا من الحق الذي كانوا عليه وهم على سواء، سواء أكان في أصوله أم في فروعه، ومن نعمة الله على هذه الأمة أن أنزل عليها ديناً ارتضاه، لا يختلف في أصوله ولا في فروعه على الدهر، فظلت به على سواء الأمر، وقصد السبيل.

وأصابت هذه الطوائف عزة في الأرض ومنعة، ورأت لها من وراء الإيام والسنين الآتيات مكاناً علياً، فهرعت إليه بزاد العلم والتقوى، وتضلعت من سائغ شرابه، وملأت

صدورها من طيب رحيق ثمره.

ورأت هذه الطوائف ـــ بما وهبها به الله سبحانه من زاد العلم والتقوى ـ في البدع الحادثات، خطراً أعظم من خطر الجيوش الغازية، وشراً أفظع من شرِّ الأوبئة الفاشية، وفتكاً أخوف من فتك السيول العاتية، فكانوا النّزُاع منها بحق إلى الهدى، المبرمين عهداً مع الله أن ينأوا وينهوا عنه، الداعين إلى هدي الكتاب والسُّنّة على بصيرة، لا يحفزهم إليها رغب، ولا يقعدهم عنها رهبٌ.

ولما أن أجلبت الأهواء بسوئها على أرض الإسلام، وآوت معها في عقول المسلمين وقلوبهم سوءات الجهل، وأرضختها لمحدثات الأمور، لم يعد الحق هو الحق فيهم، بل صار الحق ما يراه الواحد منهم بما حيز له بالسبق إلى هذه المحدثات والسوءات، فغابت الحقيقة عنهم كما غاب الحق فيهم، وتجرعتْ كؤوس العداوة حتى الثمالة، وتنوزع الباطل على أنه حق، وتخولف على الحق على أنه باطل، وانتهى كلاهما فيهم إلى باب من صخر زاد من ثقله الأغلالُ التي كانت على الأمم التي من قبلهم، وتناءت عنه م ذكريات القرون السالفات، وضمرُت في جنباتهم كسافُ البخت النجيبات، وانشمرت عنهم كرائم الأخلاق الرضيات، ولم يجدوا من أنفسهم مفزعاً ـ على رغائب مضمحلة ـ إلا إليها، فما أصابوا فيها إلا ما يزيدها نأيا وضموراً، وأشكرت ضروع البغضاء في أرضهم، وجرى كلَبُ اللعنة بين ظهرانيهم، وأنسدلت سجفُ العداوة على صدورهم وأضحوا إلى حال، الآملُ فيها على شفا جرف هارٍ من اليأس، والراجي فيها لا يبصر شرف المكان العالي، والتطيرُ ظلة مثقلة بسواد القنوط، تنهلُّ منها دموع الشقاء أما التَّفاؤلُ فكانما صار من ثواب الله المأمول يوم البعث.

بيد أن الذين نفروا من البدع والحوادث نفار السليم من المجذوم، وأسلموا أنفسهم لله سبحانه في صدق إخبات لكتابه، وحسن اتباع لنبيه عليه السلام، ورأوا في أنفسهم عزيمة لا تُفلُّ إلا بالحق الموثوق بعروة العرش المكين ـــ علموا إن الله سبحانه معهم، ناصرهم بالحق، ومظاهرهم بصدق الأخبات لكتابه، ومظهرهم على الباطل وأهله بحسن اتباع نبيه، فما وهنوا لما أصابهم، ولا ضعفوا بما نالهم، ولا استكانوا بما حلّ في دراهم. ولكأنما رأوا أن الله قد أنزل فيهم ـــ لو كان نبي ـ قرآناً غضاً: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) و(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)، فكانوا على عهد مع الله أن يكونوا حيث أراد، وكما أراد، وأنى أراد، في سربال العبودية الطائعة التي مقتضاها حق الألوهية.

العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني

مســـــائل وأجوبتهـــــا

* السؤال / قد عشتم في هذا البلد سنين عديدة، وأينعت دعوتكم: دعوة الكتاب والسنة؛ الدعوة السلفية، وآتت ثمارها الطيبة، فبماذا تعهدون إلى طلاب العلم في هذا البلد وفي سائر بلدان العالم الإسلامي؟

* الشيخ / إن البحث فيه كلمتان مختصرتان: أوصي إخواننا في بلاد الدنيا كلها بكلمتين اثنتين: بالعلم النافع، والعمل الصالح.

والعلم النافع: قال الله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ كما قال ابن قيم الجوزية (رحمه الله):

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها
حذراً من التعطيل والتشبيه
هذا هو العلم ـ قال الله قال رسول الله ـ

لكنكم تلاحظون هنا أن ابن القيم (رحمه الله) زاد ذكر الصحابة؛ لفائدة لا يتنبه لها كثير ممن ينتمي إلى السنة ـــ فضلاً عن غيرهم ـــ وهذه هي دعوتنا القائمة على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.

إذن هناك ثلاثة أشياء: القرآن، والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، وهم الصحابة، لأن أول ما يتبادر إلى ذهن المسلم أن السلف الصالح على رأسهم أصحاب النبي ﷺ.

من أين جاء هذا الأمر الثالث في كلام ابن القيم وهو إمام من ائمتنا في الدعوة؟

من قوله تبارك وتعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ والبحث في هذا طويل، ولنا حول ذلك مطبوعات ومنشورات في بعض الأشرطة، الذي أريد أن أقوله: أوصي إخواننا في كل بلاد الدنيا بالعلم النافع (وهو علم الكتاب والسنة)، وعلى ما

هو عليه سلف الأمة، ثم بالعمل الصالح؛ لأنه كما يقول بعض كبار العلماء: العالم الذي لا يعمل بعلمه كالعابد الذي يتعبد بجهله؛ ولذلك قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ عرفنا أن العلم النافع هو الكتاب والسنة وعلى نهج سلف الأمة، فما هو العمل الصالح؟

له شرطان اثنان.

الشرط الأول: أن يكون خالصاً لوجه الله ـــ عز وجل ـــ لا يريد من ذلك جزاءً ولا شكوراً، يعمل عملاً صالحاً لوجه الله ـ تبارك وتعالى ـ وهذا لا يكفي، بل لا بد أن يكون هذا العمل الصالح الذي أخلص فيه صاحبه أن يكون على سنة رسول الله؛ فإذا ما خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه ، لذلك قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك**﴾؛ أي: ليخلص بالعمل الصالح لله ـ عز وجل ـ بهذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

* سؤال / في كتب التخريج يقولون: منقطع وانقطاعه يسير، أو انقطاعه ضعيف، أو نحو هذه العبارات.

فما معنى الانقطاع اليسير؟

* الشيخ / هو أن يكون هناك خلاف بين العلماء بين الراوي وشيخه؛ فبعضهم يقول: سمع منه، وبعضهم يقول: لم يسمع منه.

ويكون الراجح عند من يقول مثل هذا القول هو أنه سمع منه، ولكن لا يهدر قول من قال: إنه لم يسمع، لكن يحطُّ من قيمته ومن شأنه.

أقول: لعلّ هذا هو المراد، والله أعلم.

* سؤال / بعض الشباب لا يفرقون بين عقيدة السلف ومنهج السلف؛ فتراه عندما يكون على عقيدة السلف يجيز لنفسه العمل مع هذه المناهج المنتشرة اليوم، وإن كان يوجد فيها ما يخالف منهج السلف عملياً، فهل هناك تلازم بين عقيدة السلف والمنهج في الواقع العملي لمنهج السلف؟

* الشيخ / أنا الذي اعتقده وأدين الله به: أن هناك عموماً وخصوصاً بين منهج السلف والعقيدة؛ فالعقيدة أخص من المنهج كما تعلمون جميعاً، العقيدة لها علاقة بما يسمى عند كثير من الفقهاء بعلم التوحيد وهذا هو أس الإسلام وأساسه، ولكن المنهج أوسع دائرة بكثير من العقيدة أو التوحيد، والذين يزعمون ما ذكر في السؤال من التعريق هم يريدون بذلك أن يجيزوا لأنفسهم أتخاذ وسائل في الدعوة إلى الإسلام، ولو لم يكن عليها السلف الصالح.

بمعنى آخر: أنهم يرون أن لهم أن يتوسعوا ما شاء لهم التوسع في ابتكار الوسائل التي بظنهم يُبلغون الإسلام بها، وتعرفون نماذج وأمثلة لهذا النوع، أو لهذه الوسائل.

مثلاً: بعضهم يرى من الوسائل المشروعة في سبيل الدعوة ونصرة الإسلام الدخول في البرلمان ـ هذه وسيلة عند بعضهم ـ وقد يستدل على ذلك بما قد يروى في بعض كتب السيرة.

من الوسائل: المظاهرات ولفت أنظار الحكام إلى ما يشكو منه الشعب مثلاً ونحو ذلك، فنحن نقول ما جاء في الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الغايات والوسائل تكفي الأمة، ولكن السبب الذي يحمل بعض الناس الذين يجيزون لأنفسهم ابتكار وسائل، بل الصواب أن أقول: يجيزون لأنفسهم أن يقلّدوا الكفار في الوسائل التي هم يتخذونها لتحقيق ما يسمى إما بالديمقراطية ـ زعموا ـ أو بالعدالة الاجتماعية، أو نحو ذلك من الألفاظ التي لا حقيقة لها. فهم ـــ أعني بعض هؤلاء المسلمين ـــ يجيزون لأنفسهم أن يقلدوا الكفار في هذه الوسائل.

نحن نقول: ربنا ـــ عز وجل ـــ أغنانا بشريعتنا على التفصيل الذي سبق بيانه آنفاً أن نكون عالةً على الكفار، وأن نتلقف منهم الوسائل التي قد تصلح لهم؛ لأنه لا شريعة لهم يهتدون بها. فنحن إذا ما سلكنا سبيلهم فنكون قد أعرضنا عن سبيل المؤمنين، واتبعنا سبيل الكافرين والمشركين؛ لذلك نقول: المنهج هو أوسع من العقيدة ومن التوحيد؛ فلا بد من التزام ما كان عليه السلف الصالح في الأمرين كليهما: الأمر الأوسع (المنهج) من باب أولى، والأمر الأضيق وهو (التوحيد) أي العقيدة.

ويعجبني ـــ بهذه المناسبة ـــ قول أحد الكتاب، وإن كان فيما عهدته لم يكن سلفياً، ولكن كان يخالط بعض السلفيين هناك في بلاد الشام يقول: «مثل المسلمين الذين يقلدون الكفار في وسائلهم كلها وسواء أكان منها سياسية أم اجتماعية أم تعليمية أم اقتصادية أم عسكرية، مثل هؤلاء المسلمين الذين يقلدون هؤلاء الكفار كمثل من يشتري ثوباً فضفاضاً أو ضيقاً، فُصّلِ على حجم معين من الأبدان إما ضخم أو نحيف بالمرة، فهو يريد أن يكسي نفسه بهذا الثوب ـ يا أخي ـ هذا لم يفصّل لبدنك هذا فُصّل لعملاق، أو لرجل صعلوك هزيل كالعود. هذا مثل من يقلد الكفار» ونعم المثل هو، والحقيقة أنه أصاب التشبيه تماماً.

* سؤال / من نصّب نفسه في مجال الدعوة والقدوة إماماً للناس، هل عليه أن يدع كثيراً من المباحات؛ لأنّ الناس ينظرون إلى أقواله وأفعاله ـــ يعني من باب تأليف القلوب ـــ، نرجو من فضيلتكم بيان ذلك؟

* الشيخ / هذا السؤال يصلح مثالاً كجواب للسؤال السابق، أولاً نقول: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، ماذا فعل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ لقد بين للناس الأحكام كلها كما يقول الفقهاء: الأحكام الخمسة، ومن ضمنها المباح. ما كتم ذلك، بل نهو من أراد أن يتنزه أن يأتي ما فعله الرسول ـ عليه السلام ـ من المباح، وهو أن يقبل وهو صائم؛ فقال: ما بال أقوام يتنزهون. أو كما قال ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ.

ثم ننتقل إلى أصحابه الذين جاؤوا من بعده هل طبقوا الذي يقول به هذا الداعية ؟ الجواب كلا كلهم ساروا على منهج الرسول عليه الصلاة والسلام من البيان، لكن أنا أقول: إن البيان شيء، وأسلوب البيان شيء، إذا كان كما يقول هذا السائل. أن بعض الناس قد يستنكرون من الداعية أمراً مباحاً إذا فعله يستنكرونه منه فهو عليه أن يلاحظ، وعليه أن يبين، ويوضح للناس أن هذا الذي هو سيفعله، سيفعله لأمرين اثنين:

الأول: لأن الله أباحه، والآخر: بياناً لحكم الشرع في هذا الأمر. وهذا ليس معناه أفعلوا مثل ما فعلت أنا. وإنما هو أمر مباح من شاء فعل ومن شاء ترك، لكنه إذا لاحظ أن بعضهم يتنزه ويترفع عن أن يفعل هذا المباح، هنا يقتدي أيضاً بالرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وينكر عليه هذا ا الورع البارد وبهذا القدر كفاية. والحمد لله رب العالمين.

* * *

شرط الانتفاع بالعلم:

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ: «وإنما شأن المحدث اليوم الاعتناءُ بالدواوين الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، وضبط متونها وأسانيدها، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه، ويدين بالحديث، فعلى علم الحديث وعلمائه لَيْبك من كان باكياً، فقد عاد الإسلام الحض غريباً كما بدأ، فليسع امرؤ في فكاك رقبته من النار، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نورٌ يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع والفرار من الهوى والابتداع، وفقنا الله وإياكم لطاعته».

سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٢٣).

إنها الربانية
تصفية وتربية

الدعوة السلفية المباركة وهي تعيش انطلاقتها في الأرض التي بارك الله فيها وحولها، بكل مقومات قوتها، وعناصر وجودها، حسبها الله الذي أيدها بنصره وبدعاتها: أشياخها وأعلامها الذين لم يروها عرضاً زائلاً، ولا رأوها سفراً قاصداً، ولا أرادوها مالاً ممدوداً، أو أتباعاً شهوداً، أو عطاء مجذوداً، أو ذكراً محموداً... ولذلك ليس يضرها ويضرهم من خالفها وخالفهم، ممن ناصبها وناصبهم العداء أو كان ظهيراً للأعداء من الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

ولا يوهنها ويوهنهم من خذلها وخذلهم ممن يظنه الناظر من بعد أنه معها ومعهم، ولكنه يعمل فيها تشويهاً وتمويهاً، ويشغل دعاتها تخذيلاً وتثبيطاً، ولو سئل الفتنة لآثارها وما تلبث بها إلا قليلاً؛ فهو يشكك في منهجها الإصلاحي التربوي، الذي ينأى عن حماسة التظاهرات، وحمق الإضرابات، وجهالة الثورات، وحقد الإنقلابات، وسفه الحزبيات، ومكر السياسات، وإذا به يغرس الأمانة في جذر قلوب الرجال؛ فيعلمون من القرآن، ويعلمون من السنة، ويعلمون من فهم سلف الأمة، وهو ما اصطلحوا عليه بـ«التصفية والتربية».

فترى هذا القبيل الذي يظن أنه يَرى ولا يُرى يزعم أن «التصفية والتربية» نظرية لم تعرف في السلف، وأن السلفيين جعلوا هذه النظرية ضدين متنافرين؛ فشطت التربية عن التصفية، ونأت التصفية عن التربية، في تضاد بشع، وتنافر قبيح، حتى قال أشياخ الدعوة: «نعلِّم ولا نربي».

وهذا القبيل تراه ينمق تشكيكه بركام من حشو الكلام وزخارف الأوهام ظناً منه أن الصف السلفي يستطيع تفكيكه.

ولما كان في القوم سماعون؛ فإننا نمر على هذا اللغو والحشو مرور الكرام ليتبين الكدر من الصفو:

ـــ إن التصفية والتربية ليست نظرية خيالية، أو فرضية احتمالية، أو تجربة ذاتية

تطبق على السلفيين كعينات مخبرية، بل هي حقيقة إيمانية؛ لقول الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ فلا تزكية إلا بتربية ولا تعليم إلا بتصفية لكن التخلية قبل التحلية...

ـــ إن التصفية تربية والتربية تصفية؛ فالتعلم والتعليم تصفية وتربية، يدلك على ذلك:

* أن الله تعالى بين أن تربية الناس هي وظيفة العلماء العاملين، وهم الربانيون، وذلك بتعليمهم الناس كتاب ربهم وسنة نبيهم؛ كما قال تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾. فالتعلم والتعليم تربية للناس وتصفية، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه».

إذن فمهمة الربانيين هي التعلم والتعليم، والرباني: هو العالم العامل البصير بسياسة النفوس، الذي يربي على صغار العلم قبل كباره، ولذلك من أجَّل شيئاً إلى أوانه، أو أرجأ عملاً لم يأتِ زمانه؛ فهو الذي فاق أقرانه، وجمع على الخير أعوانه، ومن لم يرضه ذلك فقد تصدى لهوانه، وبرز لحرمانه.

ولقد جعل الله العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء بعثوا ليربوا الناس على طاعة ربهم ورسولهم، ويهذبوا نفوس الناس من كيد الشيطان ووهم الإنسان.

وتبقى الدعوة هي السلفية، ويبقى دعاتها: أشياخها وأعلامها هم طائفة الغرباء بفرقتهم الناجية وطائفتهم المنصورة يَصْلُحون عند فساد الناس، ويصلحون ما أفسد الناس ولو كان من يعصهم أكثر ممن يطيعهم ولا يستفزهم الذين لا يعلمون، ويدركون أنه لا مناص من التقدم للأخذ بقياد قوم أكثرهم نيام والباقي في أحلام، ويعلمون أنهم يعالجون أمراً لا يعين عليه إلا الله: قد فني فيه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي... ربنا لا تجعلنا فتنة للظالمين (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد. واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود).